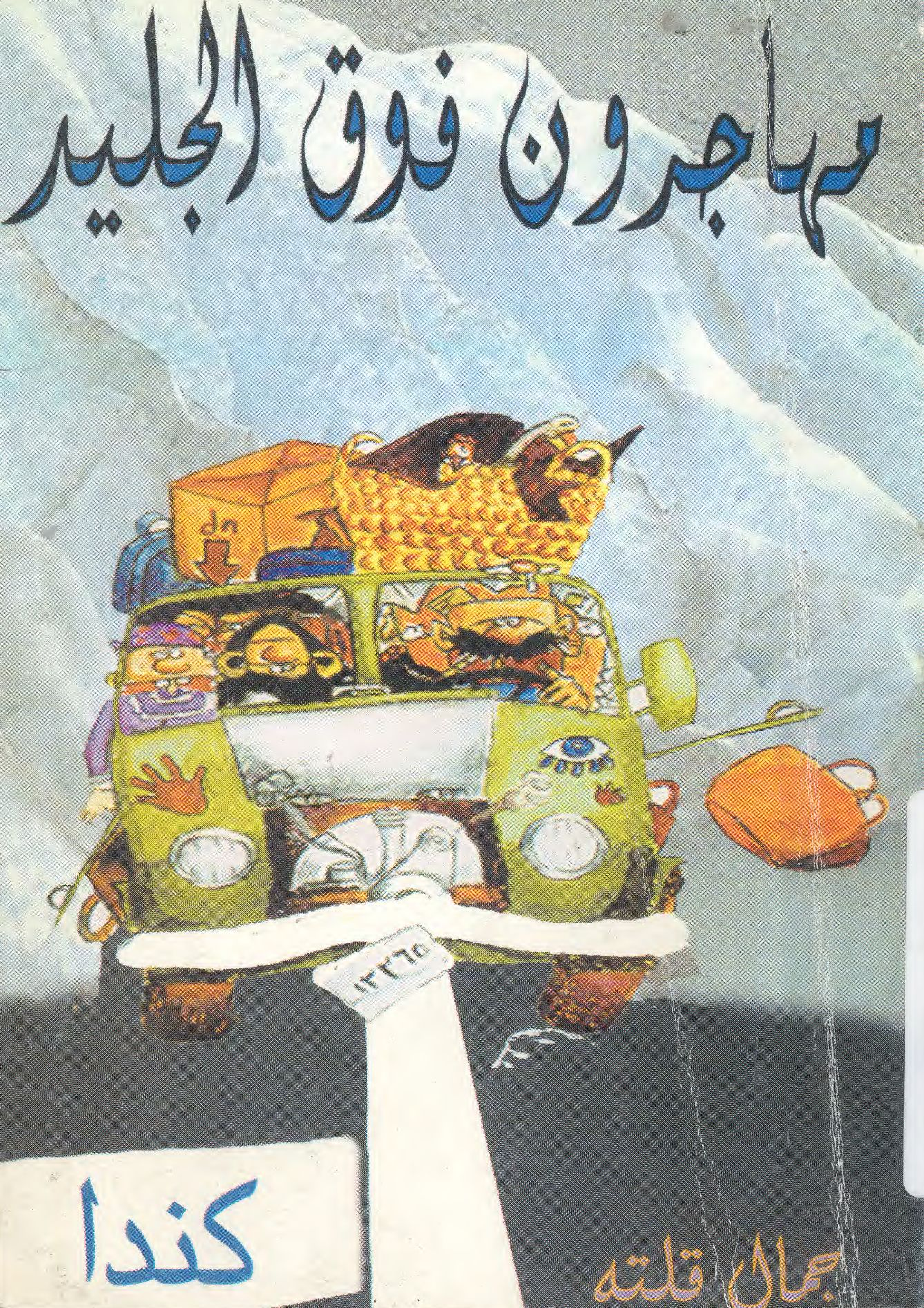


مهاجرون فوق الجليد
كندا
جمال قلته

مهاجرون
فوق الجليد

مجموعة قصص قصيرة
من واقع حياة المهاجرين فى كندا

بقلم
مهندس : جمال قلته

مقدمة الكتاب

كندا دولة من دول المهجر.. تقع فى قارة أمريكا الشمالية ومساحتها كبيرة وشاسعة وتزيد فى مساحتها عن مساحة الولايات المتحدة الأمريكية وتعد ثانى دولة من ناحية المساحة فى العالم بعد الاتحاد السوڤيتى وبعد تفكك الاتحاد السوفيتى أصبحت كندا الدولة الأولى فى مساحة الأرض. تجاورها من الجنوب الولايات المتحدة الأميريكية ومن الشمال المحيط الأركتيكي ومن الشرق المحيط الأطلنطى ومن الغرب ألاسكا والمحيط الباسيفيكى (الهادى) .

وتتكون كندا من عشرة أقاليم أو مديريات ويطلق عليها (بروفنس PROVINCE) وكل أقليم أو مديرية لها حكومة تدير كافة شئونها الداخلية ولكنها خاضعة لحكومة فيدرالية ومقرها (أوتاوا) فى شئون السياسة الخارجية والدفاع القومى وبعض الشئون الأخرى.

واللغة الرسمية فى كندا الانجليزيه ثم الفرنسية نظراً لأقليم كيوبك Quebec الواقع فى الجزء الشرقى من كندا والناطق باللغة الفرنسية.

يبلغ تعداد كندا سبعة وعشرون مليون نسمة.. وهى دولة من دول الكومنولث البريطانى وتقبل كندا الهجرة من أقطار وبلدان قارات العالم المختلفة فتجمع بين مهاجرين ومقيمين من أوربا الغربية وأوربا الشرقية ومن معظم بلدان قارة آسيا وكثير من بلدان قارة أفريقيا بالإضافة إلى المهاجرين من دول أمريكا الجنوبية ومن دول البحر الكاريبى...

كل هذه الجنسيات بملامحهم المختلفة ولغاتهم المتعددة... وعاداتهم وتقاليدهم الغريبة يتواجدون على أرض كندا كجزء من المجتمع الكندى ويتعايشون فى أمن وسلام وحرية تامه فى معتقداتهم وعاداتهم ولا أحد يتعرض إلى حرية الآخرين..مهما كانت اعتقادتهم غريبة وشاذة..والكل يفعل ما يشاء بحيث لايمس حرية وحياء الآخرين..

هكذا يكون المجتمع الكندى مجموعة كبيرة ومختلفة من الأزهار والورود فى ألوان وأشكال متباينه تتجمع وتتناسق فى صحبة أو باقة جميلة رائعة كل هذا تحت حماية القانون والدستور الكندى.

ويبلغ تعداد المصريين المهاجرين والمقيمين بكندا (١٥٠ ألف) نسمة ... ولقد عرف المصريون الطريق إلى كندا للعمل أو الهجرة منذ ما يقرب من ثلاثين عاماً.. ومازالت تتقدم أعداد وفيرة كل يوم تطلعاً للعمل أو الهجرة وذلك لأن المصريين قد حققوا شيئاً من النجاح فى

مجالات متعددة...فمنهم من حقق نجاحاً مادياً كبيراً بتكوين ثروة كبيرة تقدر بملايين الدولارات فى أعمال تجارية أو فى بعض المجالات الصناعية... ومنهم من حقق نجاحاً اجتماعياً مرموقاً بالوصول إلى مراكز حساسه وهامة فى الحكومة الكندية أو فى بعض الشركات العالمية.

وكندا كمجتمع غربى ودولة من دول المهجر تختلف كثيراً عن دول المهجر الأخرى كأمريكا واستراليا بالنسبة للمهاجر أو المقيم بها ومن بعض هذه الاختلافات المناخ أو فصول السنة التى تؤثر كثيراً فى طرق معيشتهم وأسلوب حياتهم... فكندا من الدول الباردة أو بمعنى آخر أن الفصول الأربعة فى كندا غير مميزه وغير واضحة ويغلب عليها فصل الشتاء... فنجد أن الشتاء فى كندا هو الموسم الطويل والأكثر امتداداً... فقد يستمر الشتاء فى بعض المناطق (٥ – ٦ شهور) وقد يطول فصل الشتاء ليصل إلى (٨ – ١٠ شهور) فى السنة فى مناطق أخرى.

وتنخفض درجة الحرارة فى الشتاء إلى ما تحت الصفر بدرجات كثيرة فقد تصل إلى (– ٣٠ درجة م). أى ٣٠ درجة مئوية تحت الصفر.. ويكون متوسط الانخفاض خلال الشتاء (–١٥ إلى –٥ درجة م) ويستمر تساقط الجليد أو الثلوج طوال موسم الشتاء وعلى فترات متقطعة.. وتغطى الثلوج المنازل والشوارع والحقول والحدائق ويكون اللون الأبيض أو الجليد هو الظاهر والسائد طوال موسم الشتاء.. وقد يصل أرتفاع الثلوج المتساقطة فى المرة الواحدة ثلث متر أو يزيد فى بعض المناطق..

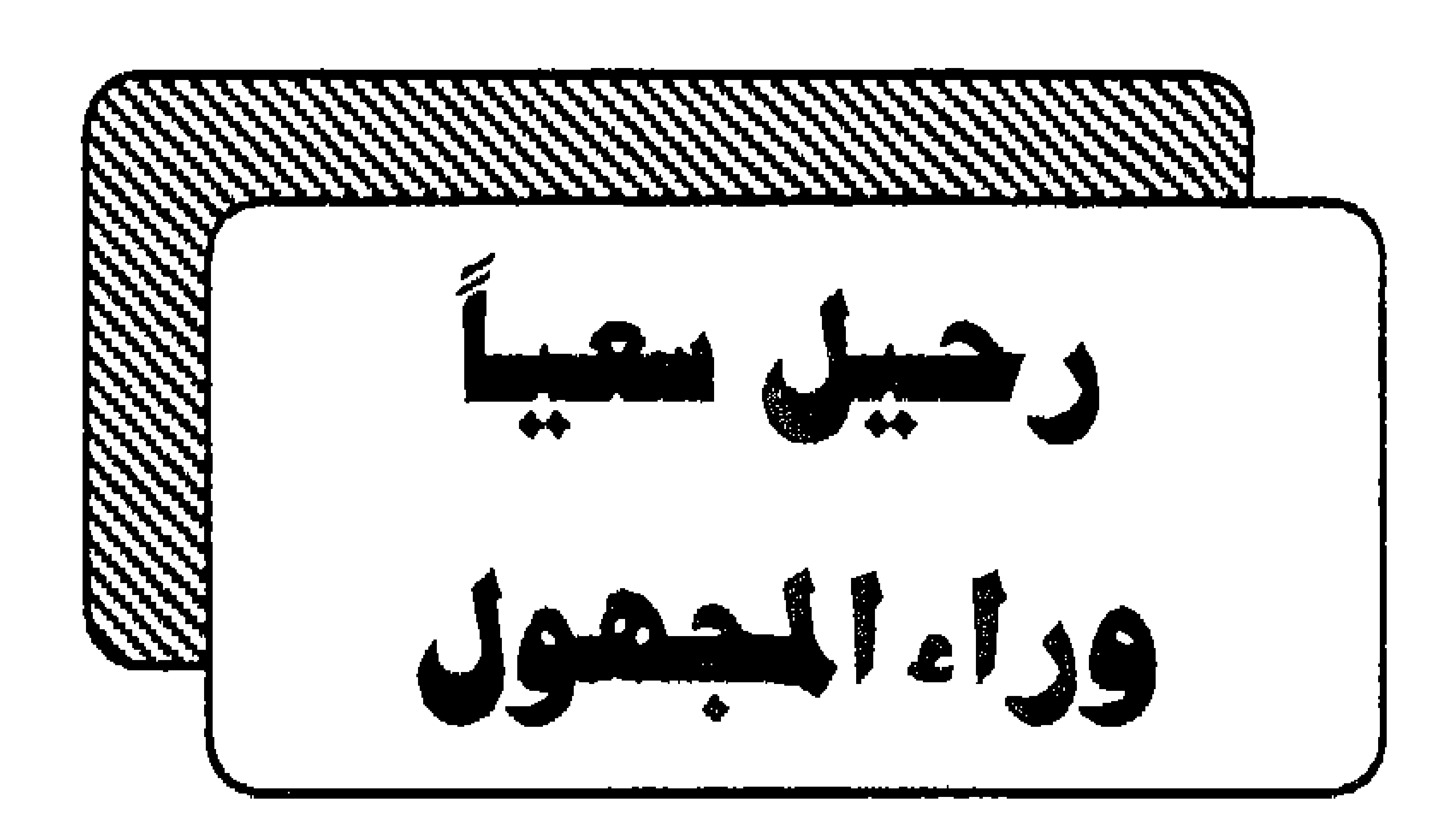
وفى مثل هذه الظروف الشديدة البرودة وتحت درجات التجمد وبين أكوام وتلال الثلوج، من البديهى أن يواجه أى مصرى أتى إلى كندا للعمل أو للإقامة اختلافاً واضحاً وظروفاً لم يعتاد عليها فى مصر حيث دفء الشتاء والشمس الساطعة خلال أربعة فصول مميزة. وأننى سأتناول فى كتابى بعض الأحداث الغريبة والمواقف الطريفة التى حدثت لى ولكثيرين من المهاجرين فى

فصل الشتاء وتحت درجات التجمد وفوق أكوام الجليد...

وكذلك قررت الكتابة تحت عنوان

«مهاجرون فوق الجليد»

جمال قلته


رحيل سعياً
وراء المجهول

توجهت إلى مطار القاهرة الدولى ومعى حقائبى وأشيائى التى أعددتها للسفر إلى كندا للعمل والإقامة بعد أن أرسل لى أخى نبيل المقيم بكندا مع زوجته وطفلته الأوراق المطلوبة – وبعد أن أكملت الإجراءات اللازمة للسفر فى طريق شاق طويل وإجراءات كثيرة معقدة وفى جهات ومصالح مختلفة وفى مقابلات واستفسارات مع مسئولين ودبلوماسيين.. وكان اليوم المحدد لسفرى هو العاشر من ديسمبر على أحد خطوط إير فرانس الجوية وهذا التاريخ لا يمكنن أن أنساه ، وسوف يظل عالقاً بذاكرتى كيوم ميلادى ويوم دخولى وتخرجى من الجامعة.

اصطحبنى لتوديعى فى المطار والدى ووالدتى

وأختى ناديه وبعض زملائى وأصدقائى وكنت فى ذلك اليوم شارداً تائهاً تنتابنى خواطر وأحاسيس كثيرة وتتوافد إلى ذهنى أفكار عديدة متنوعة.. وكنت أحاول أن ابتسم لتعليقات أصدقائى وضحكاتهم وأن أشاركهم سرورهم ومزاحهم.. ولكننى ظللت هكذا شارداً فلم يعلق بذاكرتى من ذلك اليوم سوى صورة أمى وقد انهمرت دموعها وأجهشت بالبكاء وهى تحتضننى قائلة: وفقك الله يا ماجد... وفقك الله ورعاك يا ابنى.. واقتربت من والدتى أعانقها مودعاً وسألتها متأثراً ومعاتباً: لماذا تبدو هكذا حزينة ومتألمه يا أمى؟ ولكنها تمالكت نفسها وأجمعت شجاعتها وأجابت فى ثقة لا يا ابنى وفقك الله وحقق لك كل ما تريد... وأكملت قائلة: إنه قلب الأم والفراق يا ماجد.. فلا تقلق أو تشغل بالك..

ودعت أصدقائى وأسرتى وأخذت مكانى بالطائرة وقد اغرورقت عيناى بالدموع وأحسست قلبى وأحشائى تتمزق للفراق والرحيل.. فمشهد والدتى حزينة متألمة

وهى تحاول أن تتمالك مشاعرها وتوقف دموعها المنهمرة حرصاً على مشاعرى حتى لا أقلق وأتألم فى سفرى لتأثرها.. وبدأت أحدث نفسى: أنه حب الأم.. هل هناك حب فى الحياة يوازى حب الأم؟ أننى لا أعتقد أن هناك حب يماثل حب الأم.. فهو حب ليس له نهاية أو حدود... ينبوع فياض دائم من الحنان يرتفع بنقائه ونزاهته وصفائه إلى قداسة السماء...

اسندت رأسى على مقعدى وسرحت مفكراً شارداً... وتواردت على ذهنى تساؤلات عديده: لماذا يرحل الإنسان ويتغرب عن الأهل والأحباب رغم كل ما فيه من شقاء ومعاناه؟ ولماذا يسافر الإنسان بعيداً قاطعاً آلاف الأميال عبر البحار والمحيطات؟ فلماذا لا نرضى بظروفنا وأحوالنا؟ ولماذا نتمرد على واقعنا ونرحل هناك بعيداً سعياً وراء المجهول؟

تساؤلات كثيرة تزاحمت برأسى وخواطر عديدة تواردت إلى ذهنى ولكننى لم أجد إجابة محددة

لتساؤلاتي.. فربما كان ذلك هدفاً للثراء وجمع الأموال أو تحقيقاً للذات فقد يجد فيه الإنسان تحقيقاً لذاته وكيانه أو حباً للسفر والمغامرة... أو قد يكون لأسباب ودافع كثيرة ومتعددة ولكنها في اعتقادي تدور كلها حول محور واحد وأساسي وهو أن الإنسان مخلوق متمرد...

اعتدلت فوق مقعدي وهززت رأسي أسفاً وعجباً وأكملت محدثاً نفسي: حقاً الإنسان مخلوق متمرد فلا يرضى بواقعه أبداً ويتطلع دائما إلى واقع الآخرين ويسعى إليه وربما يكون في ذلك سعيا وراء المجهول أو سعيا للشقاء..

أمسكت بأحد كتبي وانشغلت بقراءتها ولأقتل وقتي بين صفحاتها وأريح رأسي وذهني من هواجسي وأفكاري...

هكذا مضت رحلة الساعات الطوال بين القراءة والحديث مع بعض المسافرين حتى هبطت بنا الطائرة بمطار ديجول الدولي بباريس لتغير الطائرة ولقضاء عدة

ساعات فى باريس العاصمة الفرنسية كفترة (ترانزيت) لحين استقلال طائرة أخرى واستكمال الرحلة إلى مونتريال كندا... وقد فكرت فى الاستفادة بالساعات الستة (فترة الترانزيت) للتجول ومشاهدة بعض من معالم باريس... ارتديت معطفى السميك واتجهت خارجاً وكان الوقت مساءً والجو شتاءً بارداً ولكن الشوارع مزدحمة بالمارة وخاصة الشباب من الجنسين يسيرون فى مجموعات صغيرة يتحدثون ويتناقشون.. أو شاب مع فتاة فى عمر الزهور يمتلأن حيوية ونشاط ترى الحياة والمرح والشباب فى وجوههم..والنشوة والسعادة تشع من أعينهم... واستمريت سائراً فى شوارع باريس وميادينها فى المناطق المجاورة للمطار أحس بلسعة خفيفة من البرودة ولكن الحياة والحركة والازدحام ونشاط المدينة واشراق أنوارها وانطلاق سكانها وحبهم للحياة والسهر أعطانى الدفء ومدنى بطاقة هائلة ورغبة كبيرة للسهر والانطلاق وهززت رأسى أسفاً متحصراً لضيق الوقت ، ساعات قليلة لا تكفى فى باريس مدينة الحياة والحب... مدينة

الانطلاق والجمال...

استمريت سائراً فى طرقاتها ومتسكعاً أمام محلاتها أتأمل بنشوة وأراقب في سعادة حتى اقتربت الساعة من الميعاد المحدد لقيام طائرة (إير فرانس) المتجه إلى مونتريال فاسرعت عائداً إلى المطار.. إتجهت إلى الطائرة بعد الإجراءات الروتينية وأتخذت مقعدى وتحركت الطائرة وأتخذت مسارها الجوى وجلست سارحاً مع أفكارى وخيالاتى أو هائماً فى قراءة كتابى... فكتابى هو رفيقى الذى لا يملنى فى سفر الساعات الطويلة.. وأنيسى فى الوحدة.. وصديقى الذى لا يبخل على بالعلم والمعرفة حتى وصلت الطائرة الحدود الكنديه ولم يمضِ وقت طويل أعلن طاقم الطائرة اقترابنا من مطار مونتريال الدولى (ميرابل الدولى) وعلينا أن نستعد للهبوط.

بدأت أرتب حقيبتى وهندامى ومرت عدة دقائق وتمكنت الطائرة من ملامسة الأرض وأعلن طاقم عن سلامة الوصول...

وأتجهت خارجاً إلى صالة الوصول الكبيرة... وكان الوقت مساءً والأضواء رائعة فى كل الأركان وفى شكل لافتات متفرقة ومضيئة بألوان متعددة ترحب بالقادمين وفى أشكال متباينة جميلة وبلغات متعددة.. وكذلك العاملين والمواطنين بالمطار يبتسمون مرحبين بالقادمين وقد تجمع المستقبلين وتزاحموا فى الشرفات المطلة على صالة الوصول ينادون ويلوحون ويهللون والبعض يحملون باقات الزهور لتقديمها للقادمين من ذويهم أو أصدقائهم ويبدو على جانبى الشرفات البعض يلوحون وآخرون يصيحون وينادون... وأنا أجول بنظرى بين المستقبلين وأتصنت الصيحات والأصوات متداخله من صغار وكبار وبلغات مختلفة ولكننى تمكنت من التقاط صيحاتك باللغة العربيه.. ماجد... ماجد... فألتفت جانباً لأجد أخى نبيل يصيح بأعلى صوته ويلوح بيده فأسرعت نحوه مصافحاً ومعانقاً ورحب بى أخى نبيل وكذلك زوجته وبعض الأصدقاء المصريين الذين حضروا معه لاستقبالى والترحاب بى..

وبعد التعارف والترحاب فى المطار وقبل الخروج لاستقلال السيارة إلى المنزل همس أخى نبيل فى أذنى قائلا: أنا أحضرت لك ملابس الشتاء ويجب أن ترتديها الآن قبل الخروج من المطار لأن الثلوج تتساقط ودرجة الحرارة اليوم (-٢٥ درجة م) والجو بارد فيجب أن ترتدى الملابس التى أحضرتها لك وأخرج من الحقيبه حذاء للشتاء طويل مبطن من الداخل ومعطف مبطن ثقيل وغطاء صوف للرأس وقفاز لليدين.. فرفضت أن أضع القفاز فى يدى أو أضع غطاء الرأس فصاح أخى قائلاً: لا تخجل أنظر إلى الموجودين كلهم يلبسون نفس الملابس كبار وأطفال حماية من البرد.. فلبست وأنا أبتسم وغير مقتنع بكل هذه التجهيزات والتحصينات.. وتوجهنا إلى الخارج لاستقلال السيارة من المكان المخصص لركن السيارات وكانت لا تزيد المسافة عن أربعين متراً من باب الخروج ولكن الثلوج كانت تتساقط بكثافة وتغطي الطريق والسيارات وواجهات المباني.. وبمجرد خروجنا أحسست بقدماى تغوصان فى الثلوج وكادت قدماى تنزلقان وأختل

توازني وكدت أسقط فوق الجليد فأمسك أخي بذراعي وأبتسم قائلاً: ببطء وتأني.. ولا يهمك بكره تأخذ على الثلج وتتعود.. على العموم السيارة ليست بعيدة.. وبدأت أشعر بلسعات البرد في وجهي وفي قدماي رغم كل التحصينات التي أحضرها أخي وأسرعت داخل السياره ألهث وأتنفس سريعاً من الإعياء وكأني قطعت عدة كيلو مترات فنظر إلى أخي ضاحكاً وقال: أنه الشتاء في كندا ولكن لا تقلق فلدينا كل الإمكانيات. وصلنا إلى المنزل وقد أعدت زوجة أخي بعض المأكولات والحلوى احتفالاً بقدومي إلى كندا وحضر بعض الأقرباء والأصدقاء وتناولنا بعض المشروبات والحلوى وقضينا ليلتنا بين الحديث والضحك حتى انتصف المساء واستأذن الحاضرون للانصراف لحاجتهم للنوم والراحة استعداداً لتوجههم لأعمالهم غداً صباحاً... وتوجهت إلى الحجرة التي أعدت لإقامتي لأنام واستريح بعد عناء رحلة طويلة شاقة..

وفي الصباح استيقظت مبكراً قبل أن أخذ قسطاً كافياً

من النوم على صوت محرك سيارة عالياً ومزعجاً فانتفضت واقفاً ونظرت خارجاً من النافذة لأجد أخى نبيل يمسك جاروفاً كبيراً يزيح الثلوج التى تجمعت فوق السيارة وأمامها وتراكمت حتى تكاد تغطى السيارة بأكملها ونظرت إليه فلم أرى سوى وجهه وعينيه فقد وضع فوق رأسه غطاء للرأس وفى قدميه حذاء الشتاء الطويل ومعطف الشتاء ووضع قفازاً فى يديه ويمشى فوق الجليد متثاقلاً ببطء وخيل إلى وكأنه أحد الهابطين فوق سطح القمر فى رحلة أبوللو الاميريكيه الشهيرة فى زيهم التقليدى وخطواتهم البطئية وحركاتهم المتثاقلة ... وبدأت اراقب أخى وهو يزيح الثلوج على جانبى الطريق فى أكوام عاليه ليفسح طريقاً للسيارة وبجواره زوجته بنفس الملابس والتجهيزات تمسك بفرشاه كبيرة تزيل الثلوج من فوق السيارة وتدور حول السيارة لتتمكن من تنظيف كل أجزاء السيارة... وأخى نبيل مستمر فى أزاحة الثلوج بجاروفه الكبير بجديه وسرعة وينظر إلى ساعته فى قلق خوفاً من التأخر عن مواعيد العمل فنظرت إليهما مبتسماً

وهززت رأسى دهشة وحيرة فأننى لم أتخيل أبداً أن يكونوا هكذا مهاجرون فوق الجليد.

بعد وصولى إلى مونتريال بعدة أيام قضيتها فى الاستجمام والراحة والتعرف على معالم مدينة مونتريال فكرت فى البحث عن عمل... وطلبت من أخى ومن بعض الأصدقاء المصريين مساعدتى فى إيجاد عمل مناسب.. وقمت بنفسى فى البحث فى الجرائد وفى بعض الأحيان كنت أمر بنفسى على بعض الشركات والمصانع القريبه أسأل عن احتياجهم لموظفين... وقد دلنى بعض الأصدقاء إلى مكتب حكومى للتوظيف لمساعدة من يبحث عن عمل وتعمل هذه المكاتب كحلقة إتصال بين الشركات والمصانع والباحثين عن أعمال ولم أتردد وذهبت إلى بعض هذه المكاتب... والحقيقة أن البحث عن عمل ليس بالأمر السهل كما يتوقع الكثيرون.. وليس كما كنت اعتقد وانتظر من بلاد المهجر بتوفر فرص العمل ولكن الأمر يختلف تماماً بعد مقابلتى لكثيرين من

المصريين المهاجرين من سنوات عديدة وليست لديهم أعمال ثابتة أو منتظمة ومنهم كثيرن حالياً بدون عمل ويعتمدون على بعض المساعدات الحكومية... فتقوم الحكومه بتقديم بعض المساعدات المالية لمن يصبحون بدون عمل أو وظيفة لأى سبب من الأسباب ولفترة لا تزيد عن سنة لحين تدبير عمل آخر وتقوم الأجهزة الحكومية بالفعل بمساعدة الكثيرين وقد تستغل الحكومة هذه الفترة فى تدريب الأشخاص الذين بدون عمل على بعض الحرف والمهن المطلوبة وبذلك يصبح لديهم فرصة أكبر للحصول على عمل...... واستمريت فى بحثى وانتظارى لفرصة عمل حتى أتصل بـ (عصام) وهو أحد أصدقاءنا المصريين فى أحدى الأمسيات وأخبرنى تليفونياً أنه سوف يصطحبنى صباحاً لمصنع للبلاستيك أعلن عن فتح باب القبول لشغل بعض الوظائف..

وفى الصباح توجهنا إلى المصنع وهو مصنع صغير يقع فى منطقة مونتريال الصناعية الغربية... وتقدمت

إلى مكتب المدير المسئول عن التعيينات (مستر فرانك)... فأشارت السكرتيرة أن اجلس انتظاراً لمقابلته ولم تمضِ دقائق حتى قادتني إلى مكتب مستر فرانك فحياني وأشار إليّ أن أجلس ونظر إلى قائلاً: هل أنت تتحدث الانجليزية؟ فأجبته: نعم أتحدث الانجليزية.. فأكمل قائلاً: حدثني عن خبرتك وتعليمك.. فأجبته قائلاً: أنني أنهيت دراستي الجامعية وحصلت على بكالوريوس في العلوم (كيمياء وأحياء) من جامعة القاهرة.. ثم عملت كيماوى في إحدى شركات الأدوية بالقاهرة لمدة أربعة أعوام... فهز رأسه موافقاً.. وأخذ يحدثني عن نظام العمل ومواعيد الحضور والانصراف والراحات ونظام الأجور ثم سألني هل توافق؟ فأجبته: نعم موافق... وسألني مرة أخرى: ليس لديك أى استفسارات فأجبته لا وأنا أطير من الفرح فقد قبل تعيني وربما وضعني في مكان لائق أو وظيفة محترمه فقد سألني عن تعليمي وخبرتي.. وانتظرت فرحاً مشتاقاً لمعرفة أى مكان سوف أعمل فيه وأى عمل سأكلف به ولم تمضِ دقائق حتى حضر (بيتر) ليشرح

لى ماذا سيكون عملى . وقادنى (بيتر) وهو ينظر الىّ مبتسماً ومرحباً إلى مخزن كبير مملوء بصناديق الكرتون الكبيرة الحجم... وقد رتبت الصناديق بعناية من الأرض حتى السقف وبجوار المخزن حجرة أخرى صغيرة لوضع صناديق الكرتون الفارغة والمكسرة وشرح لى بيتر عملى بأننى أفتح صناديق الكرتون الكبيرة وأخرج الواح البلاستيك وأضعها فوق عربة من الخشب وعندما تمتلئ العربه أرفعها إلى داخل المصنع حيث توجد منضدة كبيرة أضع عليها ألواح البلاستيك لتكون قريبة من الماكينات... هذا هو عملى الذى كلفنى به وهو أحضار ألواح البلاستيك وترتيب صناديق الكرتون الفارغة فى المكان المخصص... وبدأت العمل فى همة ونشاط أودى كل ما كلفنى به...واستمريت فى عملى صامتاً ولكن هناك تساؤلات واستفسارات عديدة تدور فى ذهنى... وهى هل هذا سيكون عملى دائما؟ أم هذا عمل مؤقت ولعدة أيام؟.. وأخذت أحدث نفسى قائلاً: ربما هذا عمل مؤقت لحين توفير المكان المناسب لى... فلماذا سألنى عن

خبرتي وتعليمي فربما سيدبر لي مكاناً مناسباً للاستفاده بخبرتي وتعليمي الجامعي ولكنني فضلت أن أظل صامتا حتى تتضح الأمور...

وفى اليوم التالى بعد فترة الغذاء حضر (بيتر) وقال لى: اسمع يا ماجد أسف أنت مسئول عن نظافة المخزن وأن تحافظ على النظام فيه دائما، كذلك الحجرة المجاورة لوضع الصناديق الفارغة والمكسره وأكياس الزبالة فهززت رأسى موافقاً.. وأكمل قائلاً: اليوم الخميس ميعاد اخراج أكياس الزبالة خارجاً حيث تمر عربات الزبالة المخصصة لجمعها ونقلها وذلك مرتين كل أسبوع يوم الأثنين والخميس وأكمل قائلاً: وأنت المسئول عن اخراج أكياس الزبالة وصناديق الكرتون المكسورة خارجاً حتى تحملها عربات الزبالة فى الميعاد المحدد وحمل (بيتر) كيس كبير من أكياس الزبالة فى كل يد من يديه وأشار إلى أن أفعل مثله وأتبعه خارجاً.. وكانت الثلوج تتساقط فى هذا اليوم بكثافة... وقد غطت الثلوج الشوارع والطرقات

وتراكمت في أكوام قد يصل أرتفاعها إلى ٤٠ سم ... وكان الجو بارداً وشديد البروده فشعرت بلسعات البرد فى وجهى وجسدى بالرغم من الملابس الثقيلة التى ارتديتها وغطاء الرأس وقفاز اليدين والحذاء الطويل وسرت خلف بيتر حاملاً أكياس الزبالة وقدماى تغوصان فى الثلوج وقد غطت الثلوج المتساقطة معطفى ورأسى.. وعند أول الطريق حيث تمر عربات الزباله المخصصة وضعنا أكياس الزبالة وشرح لى بيتر بأن استمر فى نقل كل أكياس الزبالة الباقية إلى هذا المكان...

واستمريت فى نقل أكياس الزبالة كيسان أو ثلاثه فى كل مرة... وكانت الثلوج تتساقط بكثافة والجو يزداد برودة وأشعر بجسدى يرتجف... فتوقفت برهة ونظرت إلى داخل الغرفة ووجدت أكياس الزبالة الباقية كثيرة... وأخذت أفكر لماذا لم يأمر (بيتر) أحد العمال لمساعدتى أو يكلف أحد غيرى بهذا العمل فى اخراج الأكياس الباقية... وبدأت أحدث نفسى قائلاً: هل استمر فى اخراج كل

الأكياس فى درجات التجمد وتحت تساقط الثلوج وأخذت الأفكار تتوارد لذهنى وصور عديده تمر بخيالى وأخيراً قررت أن أذهب إلى (بيتر) وأطلب منه أن يكلف أحد لمساعدتى... وذهبت إليه بأدب وخجل قائلاً: هل تأمر لأحد أن يساعدنى فى إخراج أكياس الزبالة.. فالأكياس كثيرة والجو قارس البرودة.. فقاطعنى ونظر إلىّ بتعبيرات حادة قائلاً: أنت لم تنتهى بعد من اخراج كل الأكياس؟ .. فقلت له: لا لم أنتهى بعد فهناك بعض الأكياس مازالت بالغرفة فالأكياس كثيرة العدد والثلوج تتساقط بكثافة... وأكوام الثلوج فوق الطريق وإخراجها يحتاج إلى وقت.. فهز رأسه وأجابنى: أنا أعرف كل هذه الأمور ولا يوجد أحد لمساعدتك فكل فرد مكلف بعمل وأنت هذا عملك الدائم.. وأنت معين للقيام بهذا العمل ويجب أن تؤديه فى وقت محدد فنظرت إليه قائلاً: وهو كذلك سأودى عملى وساستمر فى أخراج باقى أكياس الزبالة.. فأدار وجهه قائلاً: هذا عملك وليس لدينا أى عمل آخر يمكنك القيام به وانصرف.. فأشتد بى الغضب وكدت انفجر باكياً

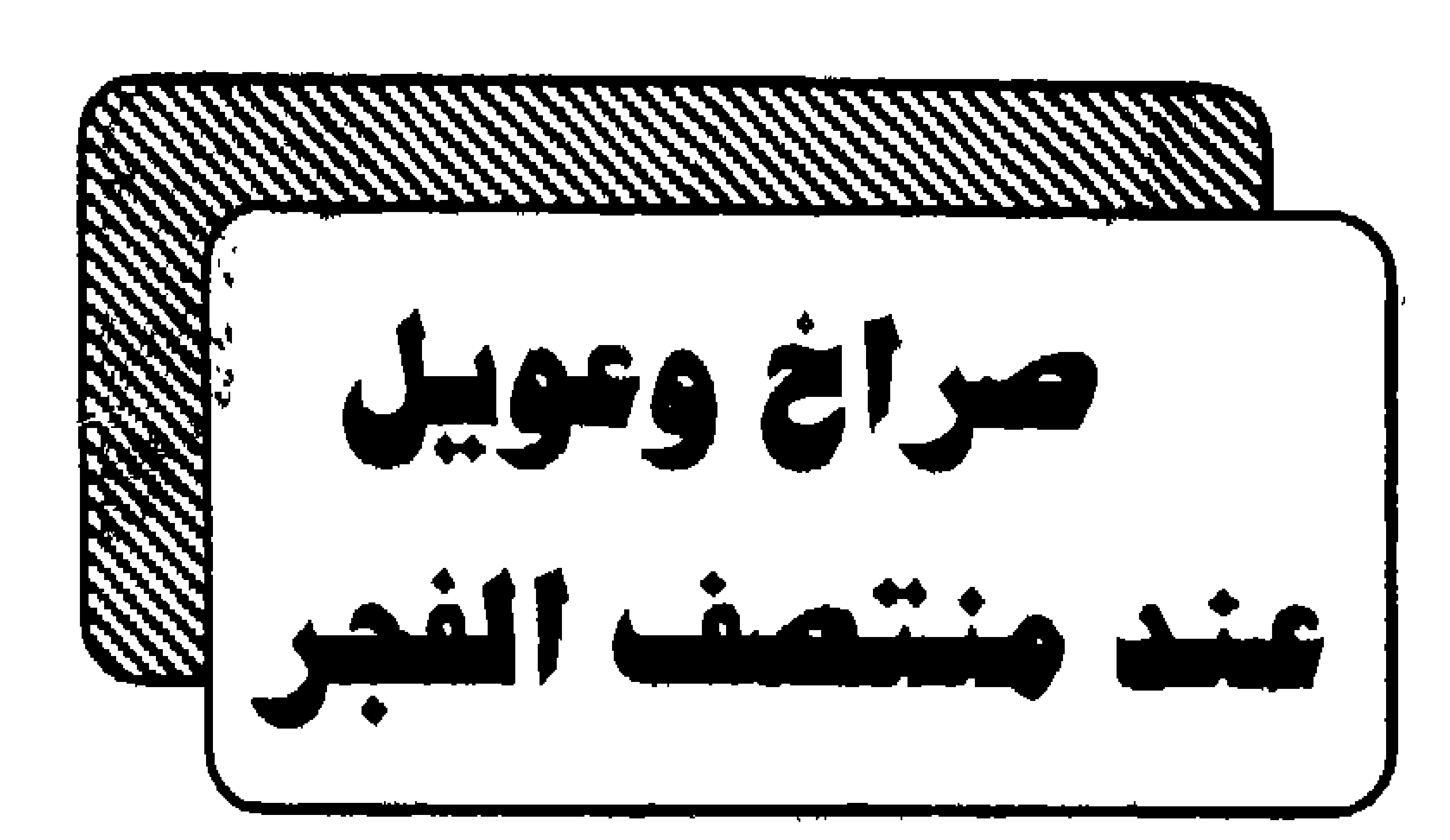
وأخذت أفكر بقلق وبسرعة.. ماذا أفعل؟ هل استمر فى هذا العمل؟ أم أتوقف وأترك العمل؟ ولكننى أعرف تماماً أن فرص العمل قليلة وكثيرون بدون عمل ويبحثون عن أى عمل يتعيشون منه وليس من السهل إيجاد عمل بالإضافة إلى تكاليف المعيشة الباهظة ويكفى أن إيجار حجرة واحدة مع دورة مياه للسكن تكلف (٢٥٠ دولار فى الشهر) بالإضافة إلى باقى نفقات المعيشة الأخرى.. ويجب أن أبدأ الاعتماد على نفسى ولا أرهق أخى بالانفاق علىّ أكثر من ذلك يكفيه مسئولية أسرته وأولاده ولذلك يجب أن أحافظ على هذا العمل واستمر فيه باذلاً كل جهدى مهما كانت الظروف..

واستمريت فى عملى وفى إخراج أكياس الزبالة الباقية بجدية ونشاط باذلاً كل ما فى وسعى رغم إحساسى بالبرد وجسدى يرتجف وعضلاتى تتقلص.. وكدت أن أنتهى فلم يتبقِ سوى ثلاثة أكياس لمحت مستر فرانك المدير المسئول يتجول فى أنحاء المصنع فتحركت

بأكثر همه ونشاط وأقبل اتجاهى ونظر إلى الغرفة المخصصة للزبالة ونظر إلىّ وأنا أعمل قائلاً: بعد أن تنتهى من إخراج كل الأكياس وتنظف الغرفة تعال إلى مكتبى... فهززت رأسى موافقاً... واستمريت فى إكمال عملى وأنا أفكر لماذا يطلبنى فى مكتبه؟ ربما تذكر تعليمى الجامعى وخبرتى فى الكيمياء والمعامل ووجد المكان المناسب لمؤهلاتى.. فربما كلفنى بعمل أفضل بكثير ويعفينى من هذا العمل.. وبعد أن أتممت كل العمل المطلوب أتجهت مسرعاً إلى مكتب مستر فرانك ولمحنى مقبلاً فأشار إلىّ بالجلوس على المقعد المقابل.. وبعد أن أنتهى من الأوراق التى أمامه وبكل هدوء نظر إلى قائلاً: أنا أسف أن أخبرك بأن ليس لدينا أى عمل أو مكان لك فى المصنع.. لو سمحت أذهب إلى السكرتيره وبلغها أننى أخبرتك بأن تترك العمل.. فصحت مستعطفاً: أرجوك يا مستر فرانك أعطنى الفرصة.. فأنا فى حاجة شديدة للعمل.. أرجوك أعطنى الفرصة.. لقد أتممت كل العمل المطلوب فقد أخرجت كل أكياس الزبالة وتظفت غرفة

الزبالة ومستعد للقيام بأى عمل أكلف به.. فرد على قائلاً: أنك تأخذ وقتا أطول من اللازم وتتحرك ببطء.. أنت لا تصلح للعمل هنا حتى فى أخراج أكياس الزبالة..

وهنا صمت فى ألم ويأس ولم أجد شيء يقال فقط هززت رأسي فى حزن وأسف محدثاً نفسي: أنهم يريدون منى اخراج أكياس الزبالة بحماس ومزاج وبسرعة كبيرة كسرعة الماكينات والمحركات التى يملكونها.. كل هذا وتحت درجات التجمد وفوق اكوام الجليد.


صراخ وعويل
عند منتصف الفجر

رن جرس التليفون مبكراً كغير العادة حيث كانت تشير الساعة إلى الخامسة صباحاً فنهضت مستيقظاً وأسرعت لالتقاط سماعة التليفون فربما كانت المكالمة من القاهرة تحمل بعض الأخبار الهامة ولكن وجدت المتحدث (عصام) صديقنا المصرى والمقيم معنا فى مونتريال والذى يسكن فى أحدث العمارات القريبة والتى لا تبعد عنا كثيراً .. وكان صوته متحشرجاً يدل على شئ من القلق والانزعاج .. وبعد أن أعتذر عن الإزعاج والإتصال فى ساعة مبكرة سألنى هل أخيك نبيل استيقظ ؟ فأجبته اعتقد أنه استيقظ ؟ فأجابنى فى لهفة : لو سمحت يا ماجد أحضر أنت ونبيل حالاً عندى فى الشقة بدون تأخير .. فسألته فى دهشة وقلق : ماذا حدث ؟ ماذا

حدث ؟ فأجاب لا شئ .. أرجوك لا تتأخر علىّ ..
فأسرعت وأخبرت أخى نبيل بما طلبه (عصام) فنهض نبيل وارتدى ملابسه بسرعة فقد كان عصام من أعز أصدقائه .. وقد ارتبطا بصداقة من زمن طويل وكان عصام دائماً نعم الصديق .. إنسان مهذب وخدوم وهو الآن يقيم مع زوجته (سعاد) وهى ابنه خالته التى تزوجها فى العام الماضى بعد أن ربط الحب بينهما أيام الصبا والشباب وكان زواجهما هو الثمرة والنهاية الطبيعية لحبهما .. وحضرت (سعاد) من مصر مع زوجها عصام لتشاركه حياته وكفاحه وليكونا أسرة فى كندا .

وفى الطريق إلى عصام سألت أخى نبيل : ربما حدث شئ مكروه لعصام فلقد حدثنى وهو مضطرب ومنزعج .. فرد نبيل قائلاً : لا أدرى ما حدث كل ما أعرفه أنه فى الأسبوع الماضى تلقت زوجته سعاد خبر وفاة والدها على أثر أزمة قلبية .. فقد أتصل بها أخوها تليفونيا ليبلغها بالخبر لذلك كانت حزينة ومتأثرة ..

وعندما اقتربنا من شقة عصام وجدنا باب الشقة

مفتوح ويقف فى داخل الشقة اثنان من رجال البوليس ويتحدث أحدهما مع عصام وهو مازال بالبيجامة أما زوجته سعاد كانت تجلس على المنضده المقابلة وهى خائفة ترتجف ودموعها تنهمر على خديها وبمجرد دخولنا الشقة سألنا رجل البوليس بالانجليزية : أنتما تعرفان عصام ؟ .. فأجاب أخى نبيل : نعم فهو مصرى مثلنا وصديقنا منذ زمن طويل .. وسأل رجل البوليس : هل سبق لعصام الاعتداء على زوجته بالضرب ؟ .. فأجاب نبيل : لم يعتد عليها بالضرب ولم نسمع عن ذلك أبداً .. واستدار أخى نبيل سائلاً رجل البوليس : ما هى المشكلة .. وماذا حدث ؟ .. فأجاب رجل البوليس : لقد أبلغنا أحد الجيران بأن فى الشقة ٣٤ توجد سيدة تنوح وتبكى وتتألم وتصيح بصوت عالٍ قرب مطلع الفجر فربماقد اعتدى عليها زوجها أو أحد بالضرب أو أصابها بمكروه وبحضورنا وجدنا السيدة (سعاد) رأفت زوجة (عصام) مازالت تصيح وتنوح وتنهمر دموعها على خديها وبسؤالها عن سبب عويلها ونواحها لم تعطنا أى

إجابة بل ازدادت عويلاً وبكاءً وازدادت دموعها ولم نفهم منها أى شئ فربما خائفة أن تشهد ضد زوجها .. ولم تفسر لنا سبب عويلها وبكائها .. فأجابه أخى نبيل قائلاً : كيف تفسر وتشرح لك وهى لا تعرف التحدث بالإنجليزية أو الفرنسية وأنت لا تفهم لغتها العربية .. فلماذا لم تسأل زوجها (عصام) عن سبب بكائها وعويلها .. فأجاب رجل البوليس لقد أعطانى زوجها عصام سبباً غير كافٍ وغير منطقى لبكائها وصراخها فى ساعة مبكرة مما أقلق وأزعج الجيران .. فلقد أخبرنا أن والدها قد توفى فى القاهرة على أثر أزمه قلبية .. وأننى مندهش ولا أصدق أن هذا هو سبب بكائها وصياحها .. فلم أصادف ذلك أبداً هنا فى مونتريال .. هناك فى كل مكان رجال وسيدات يموتون وكل ما يفعله أسرهم وأبنائهم إتمام مراسيم الجنازة والدفن وتقبل العزاء فى هدوء وصمت وينتهى كل شئ وتستمر الحياة ...

فالموت شئ طبيعى فكل إنسان سوف يموت اليوم أو غداً .. والموت ليس بهذه الرهبة فالموت انتقال ورحيل ولا

أحد يفعل ذلك أمام الموت .. فأجاب أخى نبيل : حقيقى أنها تلقت خبر وفاة والدها الأسبوع الماضى فى القاهرة فحزنت وتأثرت لذلك ... فأجاب رجل البوليس إذا كان والدها رحل هذا أمر الله وليس لأحد التدخل في إرادة الله.. فرحيله ليس بنهاية العالم .. فالموت أمر طبيعى ولكن لماذا تستيقظ هى عند الفجر وتنوح وتبكى فهذا تصرف غير طبيعى .. فربما كانت هى مريضة وغير طبيعية وتحتاج إلى علاج ومساعدة فأجبته أنا فى هدوء: ولكنها أمور طبيعية فى بلادنا وهى شئ من تقاليدنا وعاداتنا أن تستيقظ السيدات عند الفجر لتنوح وتبكى على الفقيد .. فهز رجل البوليس رأسه فى دهشة قائلا : وما الفائدة التى تعود إليها أو إلى الفقيد من البكاء والعويل؟ وهل يغير البكاء والصراخ من الوضع شئ .. وأكمل قائلاً : وإذا كان ذلك من عاداتكم وتقاليدكم .. فلماذا البكاء والصراخ عند الفجر ... ولماذا لا يكون فى منتصف النهار حتى لا توقظ السكان وتزعجهم، فمعظم سكان العماره استيقظوا على صراخها وعويلها خائفين

ومنزعجين فهم لا يعرفون عاداتكم أو تقاليدكم .. فتقدم (عصام) وتأسف لرجلا البوليس عن الازعاج وعما حدث وكرر أسفه ووعد رجل البوليس إن هذه الأمور لن تتكرر ولن تحدث مرة ثانية ... وأكمل عصام لرجلى البوليس قائلاً : أنني سوف أشرح كل هذه الأمور بهدوء لزوجتى وأمنعها عن النواح والعويل .. وقبل الاعتذار وقبل انصرافهما أخبر أحدهما عصام بأنه سوف يرسل أخصائية اجتماعية لها ربما تحتاج أيضاً إلى علاج ومساعدة وانصرف ..

تنفس عصام طويلاً وأشعل سيجارة وهو يكاد ينفجر من الغيظ ونظر إلى زوجته فى عصبية قائلاً: هل يرضيكى ما حدث من الساعة الرابعة .. هل يرضيكى البهدلة .. أنا لا أستطيع تحمل كل هذه المشاكل .. فأخذت أهدىء أنا ونبيل من عصبيته وثورته .. بتبسيط الأمور وتهدئه الموقف ببعض الأحاديث المسلية حتى هدأ عصام وبدأ يقص ما حدث قائلاً : لقد استيقظت (سعاد) فى الساعة الثالثة صباحاً عند الفجر وأخذت فى اللطم والنواح

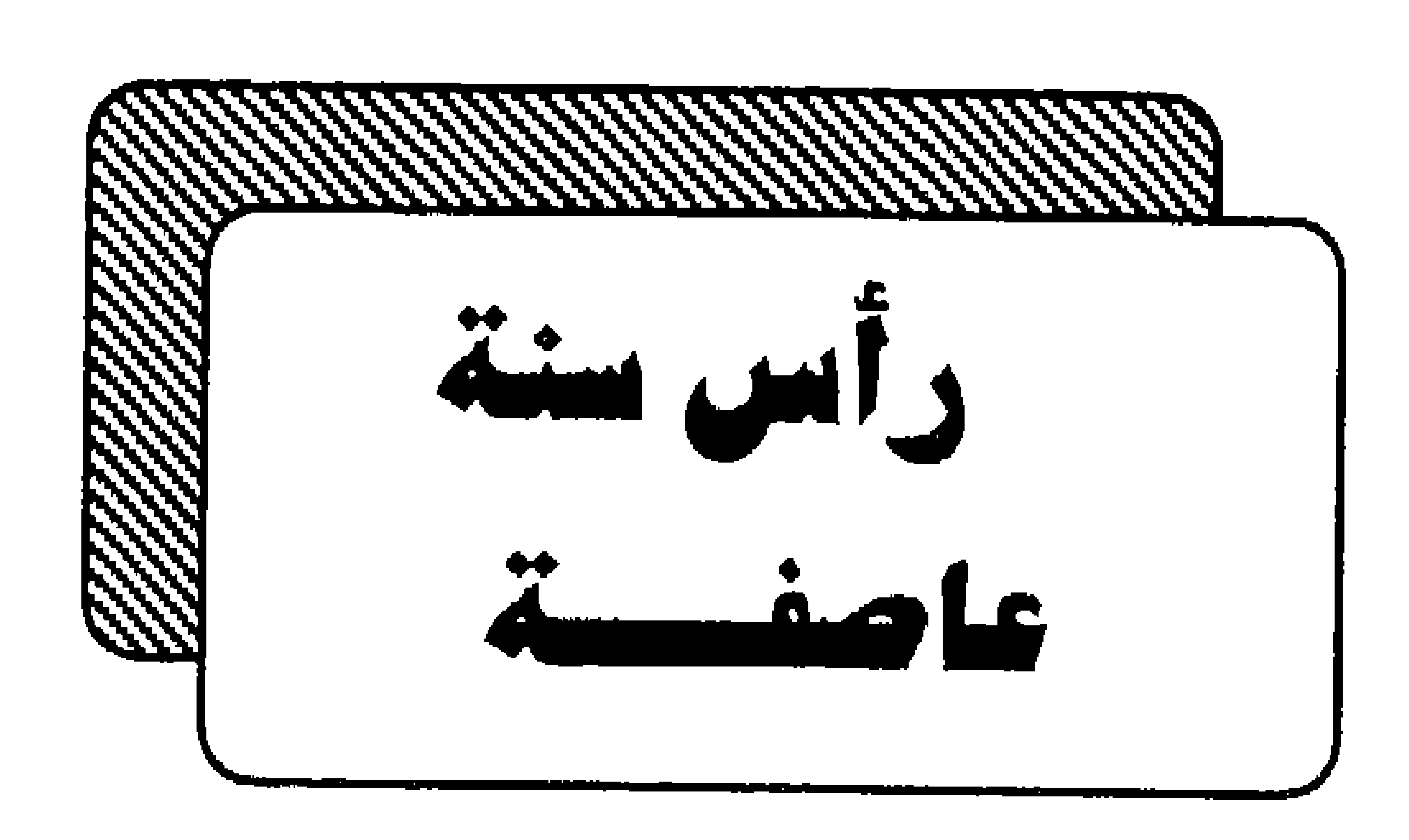
وكأنها فى جنازة حامية وتصرخ بعلو صوتها ... أبويا يا خرابى .. يالهوى ياأبويا .. أروح لمين بعدك يابا . وليه مين غيرك يابويا ... حتى الساعة الرابعة ... ثم نهضت أنا على خبطات رجلا البوليس على الباب ... وحاولت أن أشرح لرجال البوليس الأمر هو وفاة والدها وليس هناك أى شئ آخر غير طبيعي ولكن رجلا البوليس لم يصدقا ولم يقتنعا وظنا أن هناك أمور أخرى ... وكلما نظر إليها رجلا البوليس ازدادت عويلاً ونواحاً وازداد رجلا البوليس شكاً فىّ واعتقاداً بأننى اعتديت عليها بالضرب ولذلك أرادا اعتقالى واصطحابى إلى مركز البوليس اعتقاداً منها بأننى أضربها وأقسو عليها وهى تخاف أن تتكلم وتشهد ضدى أمام البوليس .. وبدأ رجل البوليس إعداد المحضر لاعتقالى قائلاً: كثيراً ما يحدث ذلك من المهاجرين العرب فيعتدى الزوج على زوجته بالوحشية والضرب .. والقانون الكندى يحرم ذلك ... وينص على أن يقدم للمحاكمة كل من يثبت اعتدائه على زوجته بالضرب والقسوة .. وظللت حائراً فلم أستطع أقناعهما حتى أن

جاءتنى فكرة الأتصال بكما لمساعدتى على إقناع رجلا البوليس بأن الموضوع هو وفاة والدها بالقاهرة وليس هناك أى مشكلة ...

فأجابه نبيل قائلاً : أن رجل البوليس على حق فى أن يشك أن هناك مشكلة وأمور أخرى فهم لا ينوحون ولا يبكون على الموتى مثلنا .. ويؤمنون أن الموت نهاية طبيعية لكل كائن حى .. وينظرون إلى الموت وكأنه انتقال ورحيل .. وأكملت أنا قائلاً: ولا يعلنون الحداد ويلبسون الملابس السوداء ويصرخون ويولولون ويقلبون الحياة رأساً على عقب كما نفعل نحن أمام الموت .. فطالما الموت حق وحقيقة حتمية فلماذا نعلن غضبنا وثورة أحزاننا على الموت .. فعلينا أن نتقبل الموت وأن نعتقد فيه كنهاية حتمية وطبيعية وأن نواجهه فى صبر وصمت...وكانت الساعة تشير إلى السابعة صباحاً وعلينا أن نستعد للذهاب للعمل .. وقبل أن ننصرف عائدين أخبر أخى نبيل صديقه عصام بأنه سيرسل زوجته لمواساة (سعاد) والتخفيف من أحزانها ..

وفى طريق عودتنا قلت لأخى نبيل مبتسماً : أنني أخشى أن ترسل زوجتك لسعاد وتجلساً الاثنتان وتتحدثان عن الأحزان والموتى وتتذكر كل منهما أحزانها وموتاها وتحمس كل منهما الأخرى ولا تستطيعان التحكم فى مشاعرهما وتشعلانها جنازة ساخنة وحامية بالصراخ والعويل والنواح لا يخمد نيرانها فى هذه المرة إلا مجئ رجال المطافئ مع رجال البوليس .




رأس سنة
عاصفـــــة

بدأ الإعداد للاحتفال برأس السنة (ليلة ٣١ ديسمبر) ويستعد سكان مونتريال استعداداً كبيراً وهاماً لهذه المناسبة.. فالمجتمع الكندى أو المجتمع الغربى بوجه عام يعتبرها مناسبة قومية هامة فيستعدون لها استعداداً خاصاً...

ولرأس السنة فلسفتها الخاصة لدى الكثيرين وتعنى أشياء كثيرة فقد تشير إلى أن الزمن قد طوى عام كامل بأحداثه وذكرياته مؤسفة كانت أم سارة فى حياتنا . فسوف تحمل الأيام كل هذه الأحداث وتضعها فى ملفات الماضى والتاريخ .. ولذلك يشعر الإنسان فى هذه المناسبة بمضى قطار الزمان وبتقدم العمر ... ويتذكر الإنسان بعض مما حققه وشئ مما فشل فى تحقيقه . وقد يتخذ

الكثيرون من رأس السنة نقطة انطلاق جديدة لاستقبال عام مقبل وعهد جديد ويجب أن نكون فى لحظة صدق مع أنفسنا وواقعنا حتى نبدأ من رأس السنة صفحة جديدة لسنة جديدة نحاول أن نصلح فيها أخطأنا وأنفسنا وليكون العالم المقبل أفضل بكثير من الأعوام السابقة .. وليكون المستقبل دائما أفضل من الماضى ... ولذلك تستعد مدينة مونتريال بأجهزتها الأعلامية والترفيهية وخاصة من خلال شاشة التليفزيون بتقديم أروع برامجها فى هذه الليلة شاملاً خلاصة لأهم أحداث العام الماضى فى أسلوب ترفيهى كوميدى مشوق مع أفضل المنوعات الغنائية والراقصة والاسكتشات الظريفة وتستمر السهرة أمام الشاشة الصغيرة من المساء حتى مطلع الفجر ولذلك يفضل الكثيرون الاحتفال بمنازلهم لمراقبة البرامج الرائعة والمعدة خصيصاً لهذه المناسبة بصحبة العائلة والأصدقاء ويجلسون فى جو أسري ملئ بالمرح واللهو والسعادة مع الإعداد لأصناف كثيرة من الأطعمة الشهية والمشروبات المختلفة لتناول عشاء رائع وقضاء سهرة ممتعة ...

ولذلك أتفق أخى نبيل مع مجموعة من أصدقاءنا المصريين بالالتقاء بمنزل صديقنا (سمير) الذى أبدى استعداده وترحيبه لاستقبالنا بمنزله وقضاء السهرة معاً.. وأتفقنا على أن تعد زوجة كل واحد من المدعويين بعض الأطعمة شرقية أو غربية والمفضلة فى مثل هذه السهرات لإعداد سفرة كبيرة وعامرة تليق بالاحتفال بهذه المناسبة..

وفى ليلة رأس السنة وقرب المساء توجهت مع أخى نبيل وزوجته وأولاده إلى منزل صديقنا (سمير كامل) وحملنا معنا الأطعمة التى أعدتها زوجة أخى وبعض المشروبات الخاصة لهذه المناسبة .. وبدأ يهل بقية الأصدقاء المصريين بعائلاتهم والتجمع بمنزل صديقنا (سمير كامل) وكان الطقس فى هذه الليلة شديد البرودة ودرجة الحرارة تصل إلى (– ٢٧ مْ) والثلوج تغطى كل شئ الطرقات والشوارع والمنازل والأشجار ولكن كل هذا يعتبر عادى فى مثل هذا الوقت من السنة ... فشهر ديسمبر أكثر شهور الشتاء برودة وأكثرها سقوطا للثلوج

ولذلك لم يشعر أى أحد بتغيير فقد اعتادوا على مثل هذه الظروف...

وأكتمل تواجد الأصدقاء وتجمعهم مع عائلاتهم بمنزل سمير وتعالت الصيحات والتحيات والسلامات فى جو عائلى رائع ملئ بالسعادة والسرور ،.. وبدأ سمير وزوجته بتوزيع المشروبات وانطلقت الموسيقي والأغانى المصرية .. وبدأت السيدات فى إعداد وترتيب سفرة كبيرة غنية وعامرة بالمأكولات المصرية والكندية..وجلسنا البعض يستمع إلى الموسيقى والبعض يتحدثون ويتناقشون فى الأعمال التجارية أو الأحداث الجارية .. وجلست أنا وأخي نبيل ومجموعة من الأصدقاء فى أحد الأركان الهادئة نلعب الكوتشينة (البوكر) للتسلية وإضاعة الوقت وحولنا الأطفال يلعبون ويمرحون .. والجميع يجلسون فى جو أسرى جميل والبهجة والسعادة تخيم على المكان..وكان الوقت يمضى والسرور والانبساط يتزايد بلقاء الأصدقاء .. فمثل هذه اللقاءات والسهرات بين الأصدقاء والأسر المصرية ومع الموسيقى والأغانى

المصرية وأمام المأكولات المصرية فى جو مصرى بعاداتنا وتقاليدنا المصرية وبروح المرح والانبساط والمعروفة عن المصريين تعيد إلى أذهان الكثيرين بعض الذكريات المحببة والمواقف الطريفة قبل الهجرة والرحيل عن الوطن الأم مصر ..

فالإنسان المصرى مهما تغرب ورحل بعيداً عبر البحار والمحيطات وأندمج مع المجتمعات الغربية وحقق الكثير، ولكنه فى الواقع لن يغير كل هذا من طبيعته المصرية ولن تتغير روحة المصرية ولن تتغير مبادئه واعتقاداته الشرقية ...

فالإنسان المصرى الأصيل يحن دائماً إلى جذوره .. يحن إلى أصله ومنبعه ... يحن إلى موطن آبائه وأجداده فوق وادى النيل وبين ربوعه وسهوله .. يحن إلى تراب مصر ورمال مصر .. ونفخر دائماً بعراقة تاريخ مصر عبر ستة آلاف سنة وأيام رمسيس وأخناتون .. وكثيراً ما يتذكر كفاح المصريين ونضالهم ومعاناتهم عبر العصور وأمام الغزوات البربرية والفتوح الهمجية .. وتحت نير

الأستعمار البغيض ... هذا هو الإنسان المصرى الأصيل بجذوره المصرية النقية ودمائه المصرية التى لم تتلوث بدماء الغزاة والفاتحين .. أو بدماء المستعمرين والنازحين فوق ثرى أرض مصر الطيبة .

جلس الجميع بعد تناول عشاء شهى وسط النكات والتعليقات اللطيفة والأحاديث الظريفة المسلية فى جو عائلى ملئ بالسرور والانبساط أمام شاشة التليفزيون لمشاهدة إحدى المسرحيات المصرية الناجحة وذلك انتظاراً لبدء برنامج سهرة رأس السنة التى سيقدمها التليفزيون الكندى .. وكانت الجلسة لطيفة مليئة بالمرح والسرور .. وكان يتخلل الجلسة توزيع المشروبات المثلجة أو الساخنة مع بعض الفاكهة والحلوى.. وكانت السهرة ممتعه وتبدو السعادة والرضا على الجميع ...

بدأ برنامج رأس السنة الذى يقدمه التليفزيون الكندى فى ميعاده المحدد ليزيد السهرة حلاوة ومتعة والحاضرين سعادة وسرور..

جلس الجميع يشاهدون بإهتمام فقرات البرنامج

المنتظر والمعد خصصياً لهذه المناسبة وهذه الفقرات عبارة عن نقد وتحليل لأهم أحداث العام الماضى فى أسلوب كوميدى ظريف يقدمه أشهر نجوم الكوميديا الكنديين ويقدم باللغه الفرنسية من تليفزيون مونتريال .. وازدادت السهرة متعة .. وتعالت ضحكات الحاضرين وصيحاتهم ... وكثرة التعليقات .. وبينما الجميع يتابعون البرنامج بإهتمام أطل (رؤوف) أحد المصريين المشتركين فى السهرة من النافذة الكبيرة المطلة على الشارع الكبير فى مواجهة المنزل وهو فى طريقه إلى دورة المياة وصاح بصوت عال قائلاً : يالإلهى .. يالإلهى الثلوج تتساقط بكثافة وسرعة كبيرة ونحن لا ندرى وأزاح الستارة قليلاً ليطل على السيارات المصطفة أمام المنزل فوجدها مغطاة تماماً بالثلوج ولا تستطيع تميزها عن بعضها وأكمل صائحاً: إن الثلوج تتساقط بكمية كبيرة مع هبوب الريح .. فأسرع بعض الحاضرين وأطلوا من النافذة وعلق (سامى) قائلاً : لقد سمعت فى إحدى النشرات الأخبارية عن إحتمال هبوب عاصفة ثلجية الليلة أو غداً

فأكمل (نبيل) قائلاً : اعتقد أنها بداية العاصفة الثلجية أنظر وأشار من النافذة إلى الثلوج المتساقطة بسرعة بتأثر الرياح .. فعلق (سامى) قائلاً : النشرة الجوية لم تؤكد عن هبوب العاصفة الثلجية الليلة وأشاروا أنها ستكون خفيفة .. فأكمل رؤوف قائلاً : سوف ننتظر ونراقب ماذا سيحدث .. وعلى كل حال السيارات قد غطيت بأكملها بالثلوج ومن الصعب تميز سيارة عن الأخرى وأكمل قائلاً: سنكمل السهرة وسنرى ماذا سيحدث .. وعاد الجميع إلى أماكنهم أمام شاشة التليفزيون لمراقبة برنامج رأس السنة ..

والمعروف أن العواصف الثلجية قد تحدث فى بعض المناطق بكندا ولكنها قليلة الحدوث هنا بمونتريال فقد تحدث ثلاثة أو أربعة مرات طوال موسم الشتاء .. وأكثر شهور الشتاء توقعاً لهبوب العواصف الثلجية ديسمبر ويناير.

جلس الحاضرون يتابعون برامج التليفزيون .. ولكن البعض أنتابهم شئ من القلق خوفاً من حدوث عاصفة

ثلجيـة كـبيـرة .. فلم ينقطع الحـديث فـيمـا بينـهم عن العواصف الثلجية وذكرياتهم .. ففى العواصف الثلجية تسقط كمية كبيرة من الثلوج مع هبوب رياح شديدة قد تغطى السيارات بأكملها وتشل حركة المرور فلا تستطيع أى سيـارة المرور .. وفى بـعض الأحـيـان تقـفل المحـال التجارية وتتعطل المدارس نظرا لعدم استطاعة أى شخص الخروج من المنزل .. ولذلك أنتظر الحاضرين بقلق حالة الطقس وكـانت كل الظواهر لا تـطمـئن فـمـا زالت الرياح الثلجية تهب شديدة وتزداد أكوام الثلوج أرتفاعاً فقد غطت كل شئ .. فلا يستطيع رؤية أى شئ خارج المنزل سوى اللون الأبيض .. وقد عاد بعض الحـاضرين وأتجهوا إلى النوافذ وخاصة السيدات لمراقبة العاصفة الثلجية فى شئ من القلق لأنهم يعلمـون تمامـاً أنهـا تعنى كـثـيـر من المتاعب.. وكثر الحديث والتوقعات فيما بينهم ولكن الوقت يمضى وقد اقتربت الساعة من منتصف الليل والعاصفة الثلجية تزداد سرعة وشدة .

ولذلك جلس الجميع مستسلمين يكملون سهرتهم

ويراقبون البرامج التليفزيونية فليس لديهم أى شئ يمكنهم عمله سوى الانتظار حتى تهدأ العاصفة .. فلم تكن أول مرة يواجهون مثل هذه الظروف فقد اعتادوا على مثل هذه المتاعب .

جلسوا يراقبون برامج رأس السنة وكانت حقيقى رائعة مليئة بالكوميديا والمرح واللهو أسعدتهم كثيراً

وأمتدت سهرتهم إلى بعد منتصف الليل وهم يتابعون البرامج فى سرور ومتعة وفجأة انقطع التيار الكهربائى .. وتعطل الإرسال التليفزيونى وأطفئت كل الأنوار بالمنزل .. فتعالت الصيحات والآهات التى تدل على القلق والضجر.. فقد وصلت العاصفة الثلجية إلى درجة كبيرة وعنيفة أدت إلى قطع التيار الكهربائى فى بعض أجزاء المدينة ...

أسرع سمير وزوجته أصحاب المنزل والمنظمين لهذه السهرة وأضاءوا بعض الشموع حتى لا يجلس الحاضرين فى الظلام ..

ساد الصمت والقلق من الحاضرين فأكثر شئ يقلقهم

ويفزعهكت إنقطاع التيار الكهربائى الذى يؤدى إلى توقف الدفايات المنتشرة بأنحاء المنزل لتسخين وتدفئة المنزل .. وبدأ الجميع يفكرون ويتشاورون فيما بينهم.. ماذا سيفعلون لو استمر إنقطاع التيار الكهربى فترة طويلة وليس هناك وسيلة للتدفئة بالمنزل ودرجة الحرارة تصل إلى (-٢٥ مْ) كيف سيتصرفون ؟ وماذا يمكنهم عمله ؟

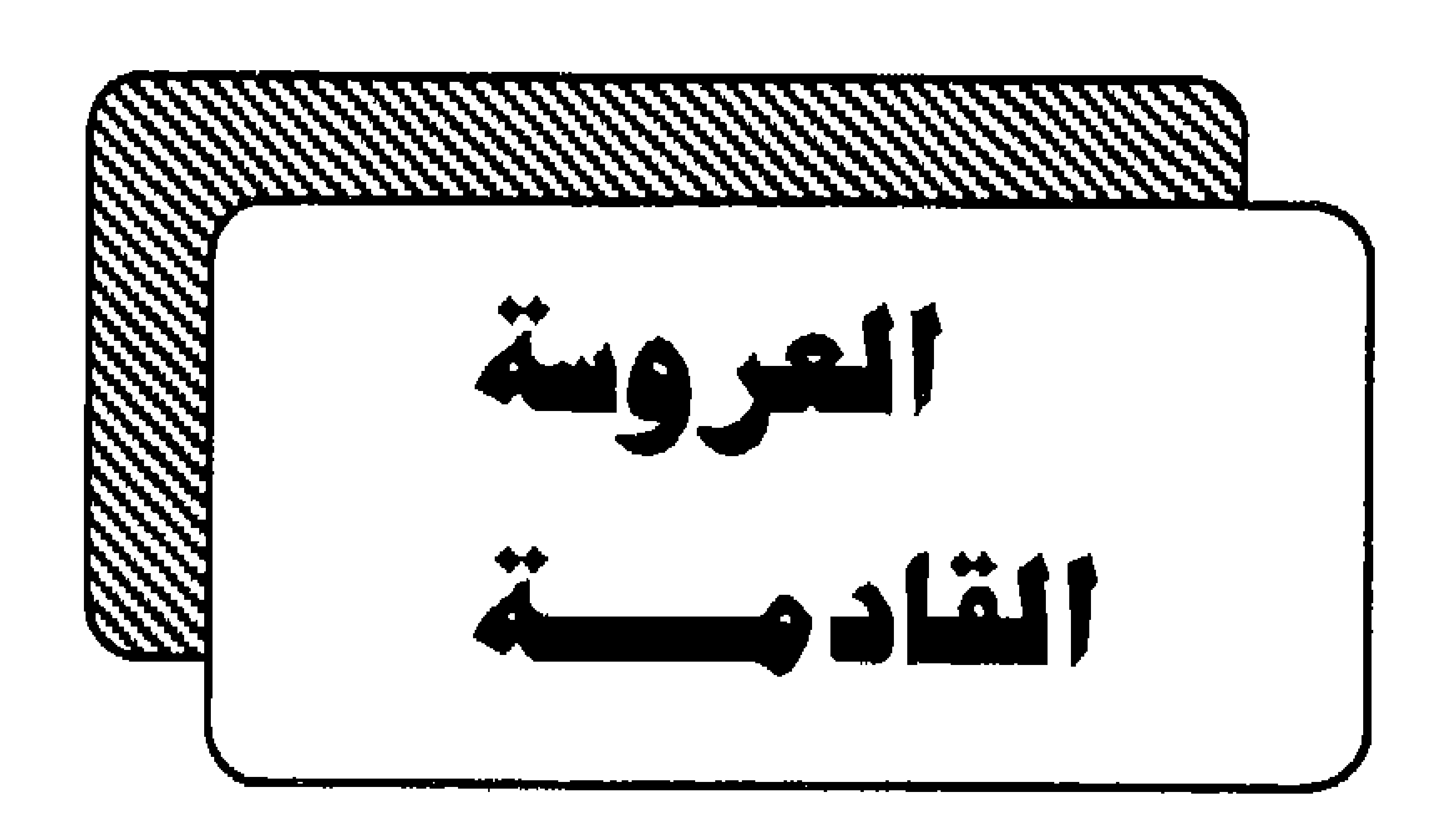
والتقط أحد الحاضرين التليفون وأتصل بمصلحة الكهرباء والمسئولين عن الإصلاح والخدمات فأخبروه بأن إصلاح الأعطال جارياً وقد أعلنت حالة الطوارئ فى المصلحة وسيصلكم التيار الكهربى حالاً ..

أطمئن الحاضرون ولكن مع الوقت بدأت الرطوبة تتسرب إلى داخل المنزل لتوقف الدفايات وأجهزت التسخين وبدأ الحاضرون يشعرون بالبرد وانتشر الذعر والخوف بين الجميع .. فأرتدى كل منهم معطفة وملابسة الثقيلة..وأحضر سمير وزوجته كل ما يمتلكون من بطاطين وأغطية ووزعها على السيدات والأطفال لحمايتهم من البرد وانقلبت السهرة من سرور وانبساط إلى

قلق وخوف وشعور بالبرد.. وقد سادت الكآبة والحيرة على الوجوه.. وجلس أغلب الحاضرين فى صمت وحيرة.. يصلون ويدعون لعودة التيار الكهربائى وهدوء العاصفة الثلجية ..

وجلست أنا فى أحد الأركان منكمشاً لشعورى بالبرد رغم ملابسى الثقيلة شارداً مذهولاً وأخذت أحدث نفسى قائلاً : ياإلهى .. لقد انقلب المرح واللهو والانبساط إلى قلق وكآبة وتغير كل شئ فى لحظة .. يا إلهى أننى لم يخطر ببالى ولو لحظة واحدة أننى سأقضى ليلة رأس سنة عاصفة فى مثل هذه الظروف ..

وبدأت أتذكر القاهرة وضواحيها فى ليلة رأس السنة.. وأتذكر أصدقائى وزملائي وكيف كنا نحتفل معاً بليلة رأس السنة فى سعادة وسرور حقيقى بعيد عن القلق والخوف من البرد والعواصف الثلجية ..


العروسة
القادمـــة

أعد أخي نبيل سيارته وهيأها لرحلة طويلة قد تصل إلى ١٢٠كم وهى المسافة التى يبعدها سكننا فى مونتريال عن مطار ميرابل الدولي .. فقد زود السيارة بما تحتاجة من زيت للمحرك - ومياه للرادياتير وعمل اختبار للكاوتشات وتأكد من أن كل شئ بالسيارة مضبوط وجاهز للذهاب إلى المطار وذلك استعداداً لاستقبال عروسة صديقنا سامى القادمة اليوم من القاهرة.. وسامى أحد أصدقاءنا الأعزاء والذى تربطنا به صداقة طيبة ودائماً نلتقى فى المناسبات والاحتفالات المختلفة ونتبادل الزيارات والسهرات فى العطلة الأسبوعية ..

وعروسة سامى القادمة اليوم من القاهرة قد اختارتها له أسرته فى القاهرة فهى ابنة أحد أقرباء والدته الذين

يقيمون بمدينة طنطا وتدعى العروسة (سهير) .. ولم يسبق لسامى معرفة عروسته سهير أو مشاهدتها حتى ولو مرة واحدة .. فقط شاهدها عن طريق الصور الفوتوغرافية التى أحضرتها له والدته عند زيارتها لكندا أو أُرسلت له مع الخطابات عن طريق البريد وكانت، تبدو جميلة وجذابة .. ولم يسمع عنها سامى (العريس) أو يعرف أى شئ من قبل سوي ما أخبرته به والدته من حسن تربيتها وأخلاقها وأسرتها المحافظة وأصلها الطيب .. ولذلك وافق سامى والدته على أن تكون سهير زوجة المستقبل .. وطلب من والدته أن تتم الخطوبة وأن يقوم والده بدوره كعريس بالنيابة ويلبسها الشبكة نيابة عنه وإتمام كل الإجراءات اللازمة للخطوبة نظراً لعدم أستطاعة سامى الذهاب إلى مصر حيث ارتباطة ببعض الأعمال هنا فى كندا وكذلك موقفه من أداء الخدمة العسكرية فى ذلك الوقت فهو لم يؤدِ الخدمة العسكرية لتغيبة فى الخارج اعتبره القانون فى ذلك الوقت متهرباً من أداء الواجب الوطنى وكان ذلك يمنعه من العودة إلى مصر .. وقد

وافقت والدته على ذلك وقد أعطاها سامى كل ما يلزم للخطبة من المال لشراء الشبكة وكافة النفقات بالإضافة إلى الهدايا والملابس لعروسة المستقبل ..

وبالفعل تمت الخطوبة بمدينة طنطا وقام والد سامى بدور العريس نيابة عن ابنه فى حفل كبير دعى إليه كل الأهل والأصدقاء وأمتدت السهرة مع إحدى الفرق الموسيقية ووزعت الأنواع الشهية من الحلوى والمشروبات المختلفة ...

وقد وعد والد سامى أسرة العروسة بعمل إجراءات السفر اللازمة للعروسة للسفر إلى كندا حيث تلتقى بالعريس (سامى) وتتم إجراءات الزفاف بمدينة مونتريال.. وها نحن فى اليوم الموعود والمنتظر لوصول العروسة إلى كندا وقد تهئنا لاستقبال العروسة وأتجهنا بسياراتنا إلى المطار..

وفى طريقنا إلى المطار أخذنا نتحدث أنا وأخى نبيل عن سامى (العريس) اليوم كم هو قلق ومشتاق لرؤية عروسته التى لم يراها أو التقى بها أبداً ؟ .. وكم سيكون

فرحه وسروره عند التقائه بها فى المطار .. وقد رويت لأخى نبيل حينما التقيت (بسامى) فى الأسبوع الماضى فى مركز للمحلات التجارية وكان يبدو مشغولاً وقلقاً بشراء واختيار كثير من الأشياء والملابس وتصافحنا وتحدثنا بعض دقائق ثم استأذننى معتذراً لانشغاله وضيق وقته... فعليه أن يعد ويجهز أشياء كثيرة وتواعدنا أن نلتقى بالمطار...وها نحن على وشك الالتقاء به فقد وصلنا إلى المطار وأتجهنا إلى الداخل للالتقاء بأصدقاءنا المصريين من أسرة سامى وأصدقائه الذين حضروا لمشاركته فى استقبال عروسته ...

وقد حضر أخوة سامى جميعاً فؤاد وسمير وهما يكبران سامى وبصحبتهم زوجاتهم وأطفالهم وكذلك أختاه منى وسامية حضرتا مع زوجيهما وأولادهن وحضر عديد من أقرباء سامى وأصدقائه فكانت فرصة طيبة للالتقاء بمجموعة كبيرة من المصريين فى المطار..جلسنا نتحدث ونتسامر لحين وصول الطائرة المقلة للعروسة .. وجلس بيننا سامى العريس ويبدو عليه شئ من القلق فى

حلته الجديدة الرائعة وحذائه الجديد ويبدو رائعاً جذاباً كغير عادته وأخذنا نطلق النكات والتعليقات لإضحاك سامي حتى أعلن برج مراقبة المطار عن وصول الطائرة المنتظرة .. واتجهنا جميعا إلى الشرفات المطلة على صالة الوصول لمراقبة العروسة القادمة ...

وكان يصاحب العروسة في رحلتها والدها (الأستاذ عزيز) الذى حضر ليكون بجانب إبنته في زفافها . وكان من الصعب التعرف على العروسة فلم يسبق لأحد من الموجودين معرفتها أو رؤيتها فقط إلا من خلال الصور الفوتوغرافية المرسلة من مصر .. وكان الاعتماد كله على (فؤاد) وهو أخو سامي الكبير لمعرفته للأستاذ عزيز والد العروسة فقد ألتقى به مرات عديدة .. ولذلك أخذنا نتتبع ونتفحص في القادمين حتى صاح فؤاد قائلاً : ها هو الأستاذ عزيز والد سهير وبجانبه سهير العروسة .. ونزلنا مسرعين إلى باب الخروج لاستقبال العروسة ووالدها وتقدمت أختا سامي (سامية ومنى) لمصافحة العروسة وتقبيلها وقدمت كل منهما باقة زهور للعروسة وكان

سامى خلفهما ينظر إلى العروسة ويتفحصها .. وتقدمت زوجة أخية فؤاد وأخية سمير للمشاركة فى الاستقبال والترحاب بالعروسة ... ونقدم جميع المستقبلين مصافحين ومهنئين وأخذنا ننظر حولنا أين سامى العريس ليصافح عروسته ويقبلها ولكنه اختفى وسط الزحام ولم يكن موجوداً .. فجرى أخية فؤاد يبحث عنه ربما كان فى دورة المياة أو على الكافيتريا فلم يجده ووقف الجميع مندهشين.. والكل يهمس أين ذهب سامى لقد كان موجوداً منذ دقائق يحملق فى العروسة ويتفحصها من أسفل إلى أعلى ثم اختفى .. ووقفت العوسة ووالدها انتظاراً لحضور العريس وقد بحثا عنه فى كل مكان فى المطار فلم يجده أحد .. وبدأ، الأمر محيرا وقد أسرع أخوه (سمير) خارجاً إلى موضع سيارته فلم يجدها فى مكانها فتأكد أن (سامى) العريس عاد بسيارته إلى مونتريال وهمس لأخيه فؤاد بذلك .. وبدأ الجميع فى موقف حرج ومحير والجميع ينظرون إلى بعضهم البعض فى شئ من الدهشة .. ومازالت العروسة تحمل بعض الورود وتقف

بجوار والدها فى انتظار سامى العريس .. وقد طال الانتظار وأدرك والد العروسة أن هناك شئ غير عادى فسأله أخية فؤاد الواقف بجواره قائلاً : أين سامى العريس ؟ هو سامى لم يحضر لانتظارنا فى المطار ؟ فأجابه فؤاد متلعثماً ومرتبكاً : لقد حضر معنا فى المطار ولكنه متعب مريض قليلاً ولم يستطع الانتظار فعاد ليستريح بالمنزل وأكملت أخته (سامية) فى شئ من الخجل والارتباك : هو قال أنا تعبان شويه وسأعود لأخذ مسكن للمعدة وسأحصلكم على بيتكم فى مونتريال .. وأشارة بيدها قائلة : هيا بنايا جماعة على بيتنا زى ما أحنا متفقين وستكون السهرة والعشاء عندى... كل شئ جاهز.. هيا بنا... هيا بنا وأشارت إلى أبو العروسة والحاضرين الجميع مدعوين على العشاء .. هيا بنا .. فهز الرجل رأسه صامتاً ومندهشاً.. وتحرك الجميع إلى خارج المطار لاستقلال السيارات إلى مونتريال .. واقترب فؤاد من والد العروسة وأمسك بذراعه وأخذ يتحدث إليه مرحباً ومبتسماً .. ولكن والد العروسة تحرك مع مستقبليه شارداً مذهولاً ويبدو

على وجهه شئ من الحيرة والقلق وابنته العروسة تسير بجواره وبيدها باقة الورود وقد أحنت رأسها وسرحت بعيداً وكأنها لا تدرى ماذا يجرى حولها وقد التفت حولها أختا سامى (سامية ومنى) .. وتحرك كل الحاضرين معهم خارج المطار ولكن الجميع فى حيرة وعجب من تصرف سامى العريس وعودته إلى مونتريال ...

تحركت السيارات إلى مونريال وفى الطرق همس أخى نبيل إلىّ وهو يقود سيارته قائلاً : لقد لاحظت سامى وهو ينظر إلى العروسة ويتفحصها من أسفلها إلى أعلى ثم خرج وأختفى . فأجبته قائلاً : تفتكر لم تعجبه العروسة ؟ فهز أخى نبيل رأسه قائلاً: اعتقد هذا... فأنا أعرف سامى جيداً ومن زمن طويل فليست أى واحدة تعجبه أو يرضى بأى عروسة.. فسامى معروف بتجاربه ومغامراته.. بالإضافة إلى أنه شخص طويل القامة وسيم واجتماعى ومتذوق للجمال .. فعلقت أنا قائلاً : ولكن الأمر يختلف فى الزواج عن العلاقات الوقتية والتسلية بالإضافة إلى أن

العروسة ليست قبيحة ولكنها عادية.. فأكمل نبيل قائلاً :
هذا صحيح ولكن سامى يكره البدينات وقصيرات
القامة... فعلقت قائلاً : هى حقيقى بدينة وقصر قامتها
يجعلها تبدو أكثر بدانة..واستمرينا طوال الطريق فى
النقاش والحديث عن الحياة والزواج حتى وصلنا إلى منزل
مدام سامية أخت العريس واستقبلت هى وزوجها العروسة
ووالدها بالترحاب ورحبت كذلك كل الحاضرين
والمدعوين...

وجلسنا جميعا حول العروسة القادمة محاولين اسعادها
وإضحاكها ببعض الأحاديث والتعليقات اللطيفة .. وفجأة
أشار فؤاد الأخ الأكبر للعريس إلى نبيل وإلىّ أن نتبعه
خارجاً .. فتحركنا خلفه خارجاً واستطرد قائلاً بغضب :
إن سامى يجلس فى شقته الآن ولا يريد الحضور ..
وتناقشت معه تليفونياً ولكنه أدعّى أنه تعبان ومريض
ورفض الحضور .. فلنذهب معاً لإقناعه وإحضاره فأنتما
من أعز أصدقائه ... فأجابه أخى نبيل هيا بنا واستقلينا

السيارة بسرعة إلى شقة سامى التى أستأجرها حديثاً وجهزها لتكون عش الزوجية .. وما أن صعدنا الشقة وفتح لنا الباب صاح أخوه فى وجهه بعصبيه قائلاً : أيه تصرفات العيال اللى أنت عملتها دى ؟ ممكن تقول لى لماذا غادرت المطار بمجرد أن شاهدت العروسة ؟ صمت (سامى) وأحنى رأسه وجلس فى مكانه حانى الرأس .. فهمس أخى نبيل إلى فؤاد قائلاً : لا داعى للعصبية أو النرفزة .. بمثل هذه الطريقة سوف تتعقد الأمور... أرجوك يا فؤاد بالهدوء والتفاهم .. صمت فؤاد ولم ينطق واقترب أخى نبيل من سامى مازحاً : هل العروسة لم تعجبك .. العروسة لم تعجبك ؟ فأجاب سامى صائحاً : مش هى دى اللى فى الصور ؟ مش هى دى اللى فى الصور اللى بعتوها لى وأكمل سامى: وهو يشير على الصور الموجودة على الترابيزة المجاورة قائلا : شوف الصور مش هى اللى فى الصور حتى الخطوبة مختلفة .. أنا لو أعرف أنها بالشكل ده لا يمكن كنت أوافق عليها .. أية أجوز مربع متر X متر .. أمسك فؤاد مجموعة الصور وأعطى بعض

لنبيل وبعض لي وأخذنا نتفحص الصور ثم تحدث فؤاد قائلاً هي اللي في الصور.. بس طبعا الصور بتكون مختلفة شوية عن الحقيقة .. وأكمل قائلاً : وفي صور الخطوبة يبدو كانت نحيف شوية وأقل بدانه ده الاختلاف الوحيد .. وأبتسم أخي نبيل معلقاً : سامي العروسة زى الفل بس ماعندهاش فكرة كيف تتزين .. وكيف تلبس .. يمكن التيير اللى لابساه ده مخليها تبدو أكثر بدانة.. فعلق سامي ساخراً : تقصد زى الكرنبه وشاح بيده ...فضحكت أنا ونبيل وعلق نبيل قائلاً : دى بنت ناس طيبين وقريبه وعلى أخلاق .. وستكون زوجة صالحة تحافظ على بيتك وأولادك .. وعلقت أنا قائلاً : دى بنت خامة كويسة وليس لديها خبرة أو تجارب .. تقدر تعلمها وتشكلها زى ما أنت عايز فأجاب سامي قائلاً: ما تقوليش خامة كويسة وأشكلها ذى ما أنا عايز .. كلهن بيوصلوا كندا بيتغيروا ويفتحوا ويبقو زى الكنديات وأكثر ...

وأكمل فؤاد (أخو سامي) قائلاً : تصرفك في المطار هل هذا تصرف واحد في سنك ومسئول ؟ يا أخي كان

لازم تواجه الموقف وتتصرف بحكمة أكثر ؟ ... تعتقد الطيران والهروب سوف يحل مشكلتك ؟ وأكمل قائلاً : تصرفك فى المطار تصرف غير إنسانى كان لازم تحافظ على مشاعر الناس وأحاسيسهم كان يجب أن تستقبلهما بأى شكل ، بالطبع قد حز فى نفس العروسة وفى نفس والدها كثيراً .. ذنبها أيه البنت ووالدها ودول ناس طيبين تضعهما فى مثل هذا الموقف .. مش أمك اللى خطبتها لك وأنت اللى وافقت على الزواج منها .. وأكمل نبيل قائلاً: سامى يجب أن تصلح كل شئ .. وتصحح غلطتك فى المطار .. هيا بنا يا سامى لمقابلة العروسة ووالدها وتصافحهما وتعتذر لهما بحجة أنك مريض قليلاً وتعانى من ألام بالمعدة .. هيا بنا يا سامى ليس هناك وقت لإضاعته ، أحنى سامى رأسة متأثرا وبدأ يرضخ لنصائحنا فاقترب نبيل منه وأمسك بيده قائلا : هيا بنا ..وناولته أنا الجاكته ووقف وأصلح هندامه وأتجهنا مسرعين إلى هناك حيث تجلس العروسة ووالدها ومجموعة كبيرة من الأصدقاء ينتظرون وتقدم سامى

وصافح العروسة ووالدها وأعتذر عن تأخره وبدأ الحاضرين فى التصفيق والهتاف والنكات والتعليقات محاولين خلق جو سرور وأفراح مع الموسيقى وأغانى الأفراح...

وتحرك الجميع إلى مائدة العشاء .. وتناولنا العشاء وسط الأحاديث الشيقة والمزاح فى جو عائلى جميل.. واستمر توزيع المشروبات والحلوى وأمتددت السهرة إلى ساعة متأخرة حتى بدأ الحاضرين فى الانصراف ...

بقيت العروسة ووالدها فى استضافة (مدام سامية) الأخت الكبرى لسامى العريس وذلك كما رتبوا وأتفقوا عليه لحين إتمام الزفاف فى الأسبوع القادم ..

وفى اليوم التالى جلس أخوه سامى ومعهم سامى العريس للحديث والمناقشة وعمل ترتيبات الزفاف وطلبوا من سامى أن يستعد لعقد الزواج فى يوم السبت القادم كما كان متفق عليه من قبل ... ولكن سامى أبدى بعض

الأعذار وطلب تأجيل موعد عقد الزواج .. ولكن إخوته لم يكونوا راضيين ومقتنعين بأعذاره وحججه فى تأجيل الزواج فكل شئ معد وجاهز من قبل حضور العروسة ولذلك حاولوا إقناعه والالحاح عليه ولكنه رفض تحديد الميعاد وتركهم وانصرف .. مضت عدة أيام ولم يفاتح أحد أبو العروسة فى تحديد موعد عقد الزواج ولذلك كان قلقاً ويبدو عليه شئ من الحيرة ولذلك أراد أن يستوضح الأمور فسأل مدام سامية أخت العريس التى بقيا فى استضافتها هو وابنته العروسة قائلاً : مدام سامية أنتم لم تحددوا بعد موعد عقد الزواج ؟ صمتت مدام سامية وبدأ عليها شئ من الحيرة ثم أجابته قائلة : كل شئ معد وجاهز ولكن سامى لديه بعض المشاغل مما اضطررنا للتأجيل فقط لأيام قليلة..فأكمل الأستاذ عزيز والد العروسة فى شئ من الضيق..أنت تعلمين أعمالى ومشاغلى الكثيرة فى مصر ومضطر للعودة .. هزت مدام سامية رأسها قائلة : حالا سوف يعقد الزواج فى احتفال كبير وستفرح بابنتك وستعود لأعمالك ...

مضت ثلاثة أسابيع من حضور العروسة إلى مونتريال وفى كل مرة يفاتح أخوة العريس أخوهم العريس لتحديد ميعاد الزواج يختلق الأعذار والحجج ويطلب التأجيل ويحاولون إقناعة مرة بالهدوء والمرونة .. وفى بعض المرات يضطر أخوه فؤاد إلى الشدة والعنف ولكن سامى فى كل مرة يختلق بعض الحجج والأعذار .. ولذلك أضطروا للاتصال بوالدهم بالقاهرة وأخبروه بتصرف سامى وطلبوا منه أن يتدخل ويتصل تليفونياً لإقناعه ... وبالفعل اتصل الوالد بابنه العريس تليفونياً عدة مرات وتحدث معه فى موضوع الزواج حتى تمكن من اقناعه وخدد مع إخوته ميعاد الزواج يوم السبت القريب . وفى اليوم المحدد توجه موكب العروسان إلى الكنيسة فى احتفال كبير وبين الورود والزهور والزينات تم عقد الزواج وأتجه الزوجان بعد مراسيم الزواج والاحتفال إلى عش الزوجية أو الشقة التى أستأجرها سامى وفرشها وجهزها خصيصاً للحياة الزوجية وبعد أن تم الزفاف بعدة أيام وأطمئن والد العروسة على ابنته مع زوجها بمنزل

الزوجية ودعهما عائداً إلى مصر ليحمل الأخبار السارة والصور التذكارية للزفاف والاحتفال بالعروسين ليعرضها على أسرته وجرانهم وأصدقائهم ....

وبعد مضى عدة أسابيع من الزفاف .. بدأ سامى يتغيب عن المنزل كثيراً .. ويظل ساهراً فى الخارج مع أصدقائه إلى ساعات متأخرة من الليل يعود بعدها للنوم... ثم يستيقظ مبكراً يذهب إلى عمله ..وبعد عودته من العمل يغير ملابسه ويخرج مسرعاً للسهر والبقاء مع أصدقائه خارج المنزل حتى ساعات متأخرة يعود بعدها للنوم .. وقد أحتارت زوجته (سهير) بعد أن تمادى فى هذه التصرفات .... وأصبح لا يعطى لها وللمنزل أى إهتمام وحاولت بكل الطرق استمالته للبقاء بالمنزل ... وبذلت كل جهدها للتقرب والتودد إليه .. وسألته مرات عديدة إذا كان يرغب فى خروجها معه والسهر فى أى مكان يرغبه إذا كان ذلك يسعده ولكنه رفض وأصر على الخروج بمفرده مع أصدقائه ...

وبعد أن فاض الكيل بها وفرغ صبرها بعد أن حاولت معه بكل الطرق لترضيه وبذلت مافى وسعها لتخلق له السعادة وتوفر له الراحة ولكنه لم يغير من سلوكه .. فاضطرت فى إحدى الأيام لمواجهته قائلة : سامى أنت عارف أننى زوجتك ولى حقوق عليك ويجب أن تعطينى جزء من أهتمامك .. أنت أهملت البيت وأهملتنى ونحن فى بداية حياتنا الزوجية حتى فى العطلة الأسبوعية تقضيها كلها خارج البيت .. هل هذا تصرف طبيعى من زوج لزوجته .. فأجاب سامى ببرود قائلاً : أنت عايزه أيه .. هل ينقصك أى شئ خلاص عايزه أيه.. فأكملت بشئ من الغضب قائلة : أنا إنسانة ولى مشاعرى وأحاسيس ولازم أتعامل كزوجة ولست كطباخة أو شغالة بالمنزل .. فرد بأكثر برود قائلاً : ربما كان ذلك نتيجة طبيعية ومتوقعه لمثل هذا الزواج الذى لم تتوفر له الظروف الطبيعية والمناخ المناسب لاختيار شريك العمر ومعرفة كل منها للآخر قبل الزواج والرباط المقدس من حيث الطباع والميول وبذلك يكون قد فقد الزواج عنصر

أساسى وهام وهو الأختيار الحقيقى بين الزوجان المبنى على الاختلاط والاحتكاك والمعرفة الحقيقية لكل منها للآخر حتى نتحاشى دخول الزوجان فى صراعات ومتاهات تؤدى بهما إلى الفشل واليأس .

دكتوارة فى النصب والأحتيال

لقد عاودتنى فكرة الدراسات العليا وبدأت تلح على ذهنى للحصول على ماجستير فى الكيمياء الحيوية فقد كان ذلك حلمى وأملى منذ كنت طالباً بالجامعة وبعد حضورى إلى كندا وحصلت على معادلة لمؤهلى (بكالوريوس فى العلوم – كيمياء وأحياء) جامعة القاهرة فكرت فى سعادة واشتياق للبدء فى الدراسات العليا.. فالدراسة بالنسبة لى دائماً متعة كبيرة وفى البحث والأطلاع أجد استفادة وفرصة كبيرة للمعرفة...

وبالفعل أتصلت بالجامعة (كونكورديا) بمونتريال مستفسراً عن الأوراق والمستندات الطلوب تقديمها.. وأعددت كل ما هو مطلوب وذهبت لتقديم أوراقى والالتحاق بقسم الدراسات العليا .. وسلمت الموظفة المسئولة

كل أوراقى وشهاداتى المطلوبة مع طلب الالتحاق .. ولم يمضِ أسابيع قليلة أرسلت لى الجامعة خطاب لعمل مقابلة شخصية مع الأستاذ رئيس القسم الذى أرغب الدراسة فيه.. وفى الميعاد المحدد لعمل المقابلة ارتديت حلة جديدة غالية الثمن ومن أحدث الموديلات وحذاء جديد ورابطة عنق جميلة لأبدو فى أحسن صورة وفى يدى حقيبة (سمسونيت) وتوجهت إلى مبنى الجامعة وإلى الأستاذ الدكتور رئيس القسم واستقبلنى مرحباً ولكنى ذهلت حينما رأيته يرتدى قميص قطن كاروهات وبنطلون قطن لا يرضى أن يرتديه عمال النظافه فى مصر فشعرت بالكسوف والخجل من عقدى ونقصى وقلت لنفسى حقيقى أن الإنسان ليست قيمته فى اللبس أو المظهر وإنما قيمة الإنسان الحقيقية فى فكره وعلمه ورسالته فى الحياة .

رحب بى الأستاذ رئيس القسم وبعد التعارف وحديث قصير .. بدأ يوجه لى بعض الأسئلة والاستفسارات ودخل معى فى بعض المناقشات العلمية لمعرفة قدراتى العلمية

والذهنية وتطرف الحديث والنقاش عن الدراسة والجامعات في مصر .. وفى نهاية المقابلة صافحنى بحرارة وطلب منى أن أذهب إلى شئون الطلاب لاستكمال الأوراق المطلوبة .

وذهبت كما أشار إلىّ وهناك أخبرتنى الموظفة المسئولة بأنه قد تم الموافقه على طلبى مبدئياً لبدء الدارسة فى العالم الدراسى القادم وأن أوراقى ينقصها خطاب التوصية وذلك من اثنين من أساتذه الجامعات يقرون ويشهدون فيها أن قدراتى العلمية والذهنية تؤهلنى للدراسات العليا ويقرون فيها أيضاً بأننى إنسان مجتهد أتحمل المسئولية وحسن السير والسلوك وأكدت لى بأن خطابات التوصية هامة وأساسية للموافقة النهائية لقبولى بالدراسات العليا تتوقف على إتمام ومراجعة الملف ...

انصرفت عائداً وأنا أكاد أطير من الفرح فها هى أمنيتى ورغبتى فى الدراسات العليا فى طريقها للتحقيق ولكنى بدأت أفكر فى خطابات التوصية فلابد من تقديمها خلال أسبوع لاستكمال الدوسية ثم استعد لبدء الدراسة .

بدأت استرجع فى ذاكرتى لعلى أجد بعض الأساتذه الذين يوافقون على إعطائى خطاب التوصية والحقيقة لا تربطنى أى علاقة بأى أستاذ جامعى بمونتريال وأخذت أفكر في معارفنا وأصدقاءنا من الأساتذه المصريين أو من أى قطر عربى يستطيع عمل الخطاب المطلوب وفجأة وأنا جالس بالمنزل أفكر مشغولاً طرأت بذهنى فكرة وتذكرت عادل حبيب فهو من جيراننا فى مصر وتربط أسرته بأسرتى صداقة وعلاقات طيبة.. فكان والده الأستاذ حبيب يمتلك مكتبة لبيع الكتب والأدوات المكتبية فى نفس منطقة سكننا ولا تبعد كثيراً عن منزلنا وكثيراً ما كنا نتردد عليه لشراء الكراريس والأدوات المكتبيه.. وكان والده الأستاذ حبيب كثيراً ما يحدثنا فخوراً بابنه عادل الذى هاجر منذ ما يقرب من خمسة عشر عاماً إلى كندا ويقيم بمونتريال وقد حصل على دكتوراه فى القانون .. وبجانب تدريسة بالجامعة يعمل مستشاراً قانونياً لإحدى الشركات الكبيرة .. وأخذت أتذكر ما كان يرويه الأستاذ حبيب عن ابنه عادل من النجاح والشهرة والأبحاث فهو

من أساتذه القانون المعروفين بمونتريال .. وهنا انتفضت واقفاً فرحاً ومسروراً فقد وجدت الأستاذ الجامعى الذى سوف يشجعنى ويعطينى الخطاب المطلوب .. فهو يعرف أسرتى جيداً .. الحقيقية أننى لم أراه فى مونتريال ولو مرة واحدة ولكننى سأحاول البحث عنه والاتصال به .. وأمسكت التليفون وأتصلت بصديقى عصام فهو من نفس الحى فى القاهرة وقد حضر إلى مونتريال منذ زمن طويل فربما يعرف الأستاذ عادل حبيب وقد يعطينى عصام عنوانه أو رقم تليفونه . وسألت عصام بلهفة قائلاً: هل تفتكر يا عصام الأستاذ عادل ابن عمك حبيب صاحب المكتبة الواقعة على ناصية الشارع..فأجاب عصام قائلاً: كل ما أعرفه أنه دائما يغير رقم تليفونه لأنه كثيرا ما يتنقل فى السكن وليس له أصدقاء مصريين كثيرين .. ولا أعرف عنه شئ سوى ما عرفته من أسرته فى القاهرة أنه حاصل على دكتوراه فى القانون.. وهو الآن أستاذ جامعى فى القانون .. ولكننى لا أعرف فى أى جامعة.. وأكمل عصام قائلاً على كل حال سأحاول

معرفة رقم تليفونه بسؤال مجموعة من المصريين أو ربما من دليل التليفون وسأبلغك حالاً ..

أنتظرت محاولات عصام وبدأت أنا من جهتى أن أفتش فى دليل تليفون مونتريال أو بسؤال بعض الأصدقاء المصريين ... وفى مساء اليوم التالى أتصل بى عصام وأعطانى رقم تليفونه فقد وجده مع أحد المصريين الذى يمتلك ورشة ميكانيكا للسيارات وكان الأستاذ عادل يحضر له سيارته لاصلاحها .. فسررت سروراً أكيداً وأتصلت على الفور ولعدم ضياع الوقت تليفونياً ولكننى لم أجده واستمريت فى محاولة الأتصال به فى أوقات مختلفة حتى عثرت عليه فى المساء ... وبعد السلامات والتحيات أخذت أعرفه بنفسى وأذكره بأسرتى حتى أنه تذكر وصاح قائلا : آه أنت ماجد أصغر أبناء الأستاذ وهيب .. وبعد حديث قصير عن مصر وعن أبناء الحى والجيران والأصدقاء بشبرا (القاهرة) سألنى قائلا : أيوه يا ماجد أى خدمة أنا تحت أمرك .. فشكرته على ذوقه واستعداده وشرحت له قائلا : الحقيقة يا أستاذ

عادل أنا قدمت أوراقى بجامعة (كونكورويا) للدراسات العليا ومحتاج خطاب توصية من حضرتك .. فأنا سمعت كثيراً فى مصر من والدك وأسرتك عن أبحاثك ونجاحك كدكتور وأستاذ فى القانون فصمت طويلاً ثم استطرد قائلاً: مافيش مانع يا ماجد والحقيقة أنامشغول جداً فبجانب تدريسى بالجامعة أعمل مستشاراً قانونياً لشركة كبيرة فى مونتريال .. وأكمل قائلاً : على العموم يمكنك كتابة الخطاب على الآله الكاتبه وإنا أوقعه لك .. لأن الجامعة التى أدرس بها خارج مونتريال وسالنى قائلاً : كم خطاب توصية مطلوب منك .. فأجبته قائلاً : خطابين ولا أعرف أساتذه آخرين .. فأجاب قائلاً : يمكنك كتابة خطاب آخر باسم الدكتور حمدى الشربينى فهو أستاذ فى الاقتصاد بجامعة (تورنتو) وهو من أعز أصدقائى وسأتصل به حالاً تليفونياً وسأخبره بموضوعك وبخطاب التوصية .. فشكرته جداً على مروئته وإنسانيته واستعداده لمساعدتى ..

أعددت خطابى التوصية على الأله الكاتبه وذهبت

إلى مسكنه وتركت الخطابين فى صندوق خطاباته كما طلب منى .. وفى اليوم التالى أتصل بى تليفونيا وطلب منى الحضور لأخذ الخطابات فقد تم اعتمادها وجاهزة .. وبالفعل ذهبت وأخذت الخطابات وشكرته كثيراً .. وكانت معتمدة ومختومة بختم حكومى .. وتوجهت على الفور إلى الجامعة وسلمتها إلى الموظفة المسئولة التى نظرت إلى مبتسمة قائلة : الدوسية كامل فقط مراجعة الدوسية وسيصلك خطاب بقبولك وترشيحك للدراسات العليا ...

رجعت إلى منزلى وأنا فى غاية من السرور كأن كل أبواب الأمل والمستقبل قد فتحت أمامى على مصرعيها .. وانتظرت خطاب الجامعة ومرت الأيام والشهور ولم يصلنى أى شئ وأقترب ميعاد بدء العام الدراسى وقد رأودنى شئ من القلق فتوجهت إلى الجامعة وإلى شئون الطلاب وسألت الموظفة المسئولة عن عدم وصول خطاب الترشيح للدراسات العليا .. فطلبت الأسم بالكامل وأخذت تبحث فى الدفاتر والدوسيهات .. ثم نظرت إلى قائلة : متأسفة جداً طلبك لم يوافق عليه .. فلم تقبل للدراسة فى

هذا العام .. فصحت فى وجهها وأنا فى ذهول وغضب .. كيف يحدث هذا ؟ أنكى أخبرتينى فى أخر مرة كل شئ تمام وسيصلك خطاب الترشيح حالا : فماذا حدث ؟ وما سبب الرفض ؟ ونظرت إليهامستعطفاً : أرجوكى أخبرينى ما سبب عدم الموافقة ؟ فأجضرت الدوسيه مرة ثانية وأخذت تقلب فيه وتقرأ بعض الأوراق .. ثم نظرت إلى قائلة : بسبب خطابات التوصية ؟ فنظرت إلى قائلة : الخطاب الأول باسم عادل حبيب بعد المراجعة والتحرى تبين أن ليس أستاذ وليس له عمل أو وظيفة حالياً .. وهو مفصول من جامعة مونتريال ولم يتمكن من الحصول على معادلة لشهادته الجامعية الحاصل عليها من مصر..

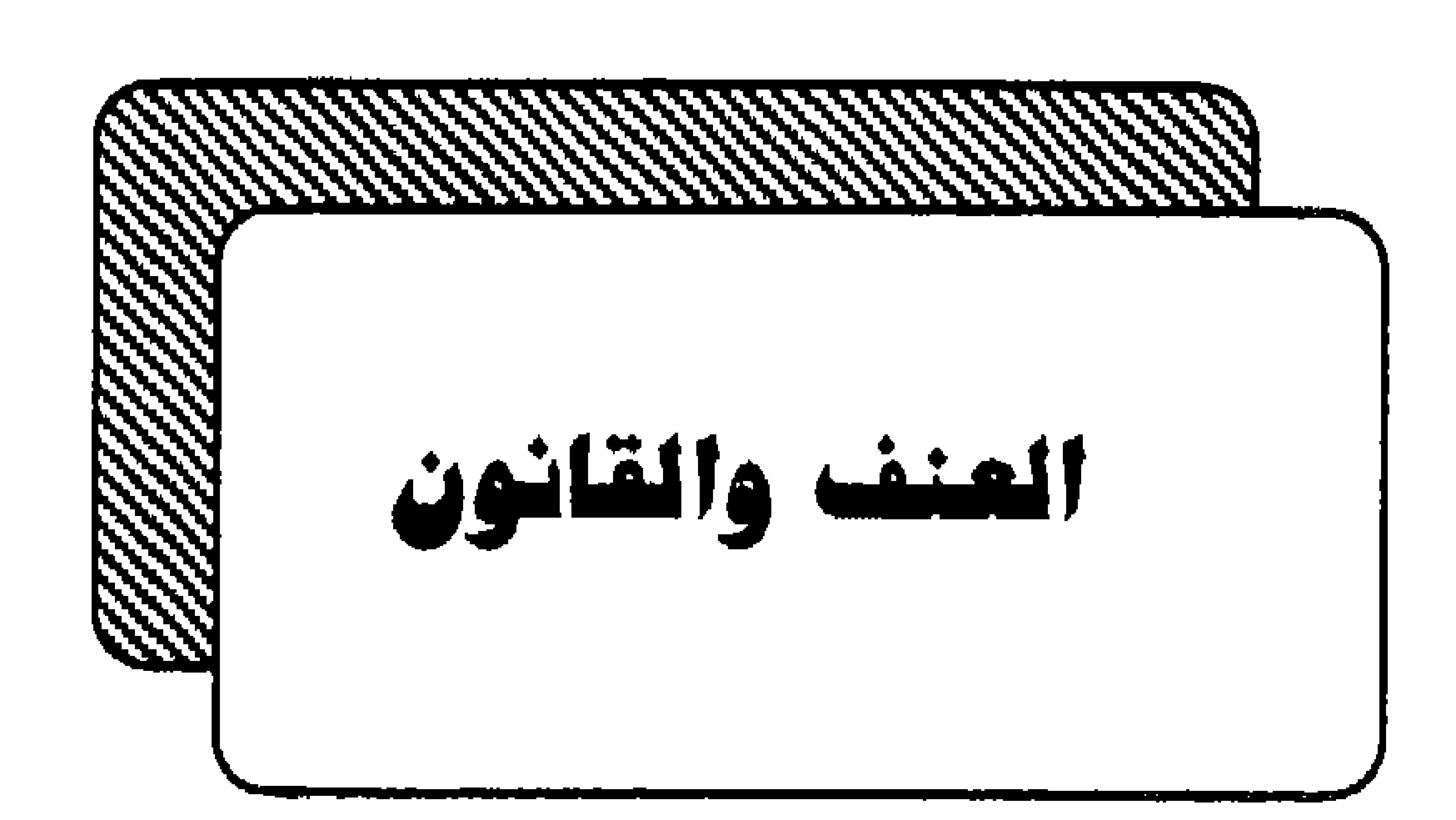
أما الخطاب الثانى باسم : حمدى الشربينى فهو أستاذ بجامعة تورنتو ولكن بالإتصال به تبين أنه لا يعرف عنك أى شئ ولم يوقع أى خطابات .... وهنا صمت ولم أستطع الكلام .. ونظرت إليها فى حزن وأسى قائلاً : أنا متأسف والحقيقة هذا سوء فهم منى وأنصرفت وأنا فى ذهول وحزن شديد فلقد ضاعت منى فرصة ربما كانت

فرصة العمر ... وأخذت أفكر فى عادل بيه حبيب الذى يدعى أنه دكتور وهو لاشئ وبدون عمل أو وظيفة .. وتذكرت والده الذى يفتخر بابنه الدكتور وأشهر أساتذه القانون .. وبدأت أفكر فى استهتاره وجنونه الذى وضعنى فى موضع كاذب ومزور .. وضاعت أحلامى وأمالى .. وأشتد غضبى وثورتى واندفعت إلى مسكنه حتى أوبخه وأعاقبه ولأعطية درساً قاسياً على استهتاره ...ولما اقتربت من مسكنه وجدته يقف بجوار سيارته مع أحد الفتيات التى تبدو من ملامحها أنها مصرية وهى تصيح فى وجهه بأعلى صوتها ودموعها تسيل على خديها ويبدو عليها البوس والضياع وهو يحاول تهدئتها بكلماته وحركاته التمثيليه والمفتعلة كعادته .. بعد لحظات ركب سيارته وأنطلق مسرعاً بمفرده وبقيت الفتاه المضرية تهز رأسها فى ذهول شاردة النظرات تترنح فى خطواتها .. فاقتربت منها بهدوء وحدثتها قائلا : أنا مصرى ممكن أسألك سؤال ؟ فوقفت عن السير ونظرت إلى قائلة بصوت منخفض ولهجة تدول على الإنكسار والبأس : حضرتك

عايز أيه .. لو سمحت اتركنى فى حالى كفاية اللى أنا فيه .. فأدركت أنها أساءت الظن بى ولم تفهمنى فصحت بجديه قائلاً : أنا لا أقصد أى شئ .. أرجوكى أفهمينى فقط أنا عايز أسألك بخصوص عادل حبيب هل حضرتك تعرفيه ؟ فهزت رأسها طويلاً فى أسى ثم أجابتنى قائلة : طبعاً أعرفه .. وياريتنى ما عرفته ولا شفت وشه .. فأكملت سائلاً : ممكن توضحى ليه بتقولى كده ؟ أنا معى مشكلة معه أيضاً .. فأجابت بعصبيه قائلة : ده مش بنى آدم .. ده نصاب محتال ومجرم ... لقد نصب على وأخذ منى (٢٥ ألف دولار) تحويشة العمر .. فسألتها فى دهشة واستغراب : كيف ينصب عليكى ويستولى على مبلغ كبير؟ فأكملت قائلة : هذا المبلغ كان ثمن محل الكوافير الذى كنت أمتلكه وأديره وكان يحقق لى دخلاً شهرياً كبيراً .. وقد أقنعنى عادل حبيب بعد أن ألبسنى دبلة الخطوبة وبدأنا نستعد للزواج بأن أبيع محل الكوافير لنبدأ معا مشروع كبير فى الاستيراد والتصدير .. وأعطيته ثمن المحل وكل ما أمتلك من فلوس فى البنك

فقد خدعنى بمظهره وأحاديثه وثقافته وأستولى على فلوسي ثم بدأ يتهرب منى ويتهرب من الزواج .... وأخيراً وبعد فوات الآوان اكتشفت أننى لست الضحية الوحيدة التى نصب وأحتال عليها فهناك كثيرات نصب عليهم واستولى على فلوسهن ومجوهراتهن .. فسألتها فى غضب وعصبيه هل لديك أنى مستند أو دليل على استيلائه على فلوسك .. فأجابت فى يأس : ليس معى أى دليل .. فلم يعطنى أى ورقة تثبت فلوس التى احتال علىّ وسرقها.. وأكملت قائلة : أنه نصاب ومحتال خطير...

فنظرت إليها فى إشفاق قائلاً : يجب أن تحاولى أسترداد فلوسك .. فلا تتركيه وأن تذهبى لأحد المحامين وتستشيريه وتروى له ما حدث فربما أمكن مساعدتك .. وقلت لها مواسياً يجب أن تأخذى حذرك .. وتكونى حريصة... وعلى كل حال ربنا يعوض عليكى .. وتركتها وانصرفت عائداً وأنا فى دهشة بالغة وذهول .. وفهمت أنها ليست الضحية الأولى بل هناك عشرات من ضحاياه... وأدركت أن دكتوراه عادل حبيب ليست فى القانون كما يدعى ولكنها فى النصب والاحتيال على الفتيات والسيدات...



العنف والقانون

انتظمت في عملي الجديد في شركة لتصنيع بعض المركبات الكيماوية المستخدمة في التنظيف ومركبات مواد الطلاء وألوان الطباعة ... وبالرغم أن الأجر الذي أتقاضاه في هذه الشركة أقل بكثير من معدل الأجور في شركات كثيرة في مونتريال ولكنني كنت سعيداً قانعاً بهذا العمل لأتصاله بالكيماويات والمركبات الكيماوية وهي قريبه من خبرتي ومجال دراستي .. وبعد مرور عدة شهور في العمل وشعرت بشئ من الاستقرار مع زملائي ورؤسائي في العمل وتعودت على إدخار بعض المال بوضع جزء من مرتبي الأسبوعي في البنك بدأت تراودنتي فكرة شراء سيارة .. فلدي رغبة كبيرة منذ زمن طويل في أمتلاك سيارة ..

وشـراء سـيـارة فى كندا ليس بـالأمـر الصـعب .. فالغالبية العظمى من سكان مونتريال يمتلكون سيارات وقد تمتلك أسرة واحدة متوسطة الحال سيارتين أو ثلاثة ولذلك تعتبر صناعة السيارات من أكثر الصناعات الرائعة والمتطورة وبالتالى تجارة السيارات وكل ما يتصل بها من ورش الميكانيكا وسمكرة السيـارات .. محطات البنزين وشـركات التأمين الخاصة بالسيارات ومدارس قيادة السيارات كلها أعمال مربحة وناجحة ...

وتنتشر أماكن بيع السيارات المستعملة والجديدة فى كل مكان ويعمل لها دعاية كبيرة وموسعة فتملأ صفحات من الجرائد اليومية بإعلانات سيارات للبيع .. وبجانب الجرائد اليومية هناك مجلة شهرية (هيبدو أوتو) مخصصة فقط لعرض السيارات المستعملة للبيع ومن كل الموديلات والماركات وبأسعار فى متناول الجميع وتتماشى مع كل المستويات .. فتبدأ أسعار بعض السيارات المستعمله من (٥٠٠ دولار) وتصل إلى سبعة أو إلى عشرة آلاف دولار تبعاً للموديل وحالة السيارة وعمر السيارة .. أما

السيارات الجديدة من (الأچانس) فهى مرتفعة الأسعار..
فتبدأ تقريبا من عشرات آلالف وتتفاوت تفاوتا كبيرا وقد
تصل إلى أربعين ألف دولار أو تزيد وقد يكون شراء
سيارة من السهل إذا نظراً إلى معدل الأجور والمرتبات
ولكن مصروفات السيارة قد تكون مرهقة ومكلفة .. فلو
تتبعنا مصروفات السيارة الشبه ثابته أو السنوية كالتأمين
وهو ضرورى وأساسى يكلف ما بين (٤٥٠ – ١٢٠٠
دولار سنوياً) ثم تراخيص السيارة تكلف سنوياً (٢٠٠
إلى ٢٥٠ دولار) أما بالنسة لوقود السيارة أو البنزين
يكلف سعر اللتر الواحد نصف دولار أو يزيد قليلاً ولملء
تنك السيارة يكلف (٣٠ إلى ٣٥ دولار) بالإضافة إلى
الاصلاحات وأعمال الميكانيكا وعلى سبيل المثال تغير
الفرامل الأمامية فقط (٢٥٠ دولار) ورغم المصروفات
الكبيرة المرهقة يضطر الكثيرون لإمتلاك سيارة لأهميتها
فيعتبرها الكثيرون أساسية وضرورية هنا فى كندا وذلك
لسوء المناخ والأحوال الجوية وخاصة الشتاء وهو الموسم
الطويل الممتد ببرودته الشديدة وثلوجه الكثيفة .. فقد

تساعد السيارة على التنقلات وتقلل من عدم التعرض للبرد والصقيع .. وأيضاً تعتبر السيارة هامة وأساسية لبعد المسافات .. فنجد أن المنازل والمناطق السكنية تبعد مسافة عدة أميال وقد تصل إلى خمسة أو عشرة أميال عن مراكز المحال التجارية .. ولشراء أى شئ بسسيط من لوازم المنزل تضطر لقطع هذه المسافة ذهاباً وإياباً .. وكذلك أماكن العمل والمناطق الصناعية تبعد مسافات طويلة قد تصل إلى عشرات الأميال ..

ولذلك يرى الكثيرون أن السيارة أساسية وهامة لمواجهة مثل هذه الظروف.. وكنت دائماً ومنذ وصولى إلى مونتريال أود وأرغب فى شراء سيارة .. ولكن حينما أجلس مع نفسى وأبدأ فى إجراء عملية حسابية بسيطة لمصروفات السيارة مع مصروفات السكن والمعيشة والمقارنة بدخلى الشهرى كمهاجر جديد .. كنت أترك على الفور فكرة السيارة حتى لا أضع نفسى فى مشاكل ومتاعب مالية ..

وكان ما يهون على كثيراً مساعدة صديقى

(عصام) الذى يسكن فى المبنى المجاور لسكنى . فكان يصطحبنى كل صباح إلى العمل بسيارته .. فكنا نعمل فى شركتين مختلفتين ولكن فى نفس المنطقة الصناعية.. فكان يوصلنى إلى مكان عملى ثم يذهب إلى المصنع الذى يعمل فيه .. وبعد انتهاء العمل وفى طريق العودة كان يمر ليصطحبنى للعودة إلى المنزل ..

وكنت أقدر لعصام هذه الخدمة فهو صديق مخلص وشهم ومستعد لمساعدة أى مصرى يلجأ إليه أو يطلب منه المساعدة .. وكنت أجد فيه صورة الإنسان المصرى الأصيل وابن البلد ولا يعيبه شئ سوى عصبيته وسرعة غضبه فى بعض الأحيان ...

وكنا نقضى وقتا لطيفاً فى طريق الذهاب والعودة بالمناقشة أو الحديث فى بعض المواقف والأحداث الطريفة التى تصادفنا أثناء العمل ..

وفى صباح أحد الأيام ونحن فى طريقنا إلى العمل كالمعتاد وكان ذلك فى شهر يناير حيث تصل برودة الجو إلى أقصاها وتكون الشواع والطرقات مغطاة بالجليد وكان .

عصام يقود سيارته على الطريق السريع وأنا أجلس بجواره نتحدث أو نستمع إلى الراديو .. وانطلق عصام وزاد من سرعته حتى يصل إلى العمل مبكراً .. وفى أحد الملفات الصعبة على الطريق السريع ويزيد من صعوبتها انتشار الثلوج فوق الأسفلت وتصادف مرور سيارة أسبور فى الخط المجاور فى نفس الأتجاه تسير بسرعة كبيرة .. وأثناء دوران عصام انزلقت السيارة وانحرفت عن مسارها بفعل الثلوج التى تغطى الطريق كألواح من الزجاج لتجمد الثلوج بتأثير برودة الجو الشديدة .. ولم يستطع عصام السيطرة على عجلة القيادة والتحكم فى أتجاه السيارة، ولم يتمكن من ايقاف السيارة بفعل الجليد المغطى للطريق فدارت السيارة نصف دائرة حول نفسها وقد ملأنى فى الرعب والخوف وأنا أصرخ قائلاً : حاسب يا عصام .. خلى بالك .. حاسب ولكن كان القدر أسرع من كل تحذير فصدمت سيارة عصام أثناء دورانها السيارة الأسبور المقبلة على الخط المجاور وكانت الصدمة قوية بفعل السرعة أدت إلى تحطم النصف الخلفى من اليسار للسيارة

الأسبور .. ووقفت سيارة عصام بمعجزة قبل أن تسقط في المنحدر الجانبي : ووقفت السيارة الأسبور وكانت سيارة حديثة ماركة (كورفت شيفروليه) وهي من أغلى سيارات جنرال موتورز وقد يصل ثمنها إلى (٣٥ ألف دولار) ونزل من السيارة الأسبور شاب كندى يبلغ من العمر الخامسة والعشرين طويل القامة مفتول العضلات ويبدو من قوامه أنه أحد نجوم الرياضة .. وكان يصطحب بجواره في السيارة فتاه تقاربه في العمر .. وخرجت الفتاه من السيارة وبدأت تنظر إلى الجزء الخلفي المحطم من آثار الحادثة وهي حزينة متأثرة... وتوقعت أن يكون الشاب الكندى غاضباً وثائراً لتحطم سيارته الغالية الثمن .. وربما كان عصبياً متهوراً وقد لا نفلت من ثورته وغضبه.. وأقبل نحونا وجلست في مكاني داخل السيارة أراقبه في حذر .. ولما اقترب من سيارتنا حيانا مبتسماً وبأدب وكأنه لم يكن هناك أى شئ حدث ثم نظر إلى داخل السيارة قائلاً بالانجليزية كله تمام .. ليس هناك أى أصابات فأجبته قائلاً : لا .. ليس هناك أى أصابات ..

فأكمل قائلاً : نشكر الله على كل حال هذا هو المهم .. اليوم يبدو أننا غير محظوظين والطريق مزحلق بفعل الجليد ثم نظر إلى عصام باعتباره-هو الذى يجلس أمام عملية القيادة وأكمل قائلاً : طبعاً لازم عمل التقريرعلشان شركة التأمين وسأل عصام قائلاً : هل تفضل فى عمل التقرير بأنفسنا أم نحضر البوليس كما ترغب ...

فأجاب عصام بعصبيه وانفعال بالانجليزية : تعمل التقرير أو تحضر البوليس أنا لا يهمنى أى شئ .. أنت اللى غبى وحمار وسائق بسرعه كبيرة وغير عادية ..فنظرت إلى عصام وهمست له باللغة العربية ، عصام أنت اللى غلطان .. وأنت المسئول .. هو غير مخطئ فى أى شئ ولا داعى لهذه الطريقة فى الحديث وحاولت أن أهدى عصام من عصبيته بأى طريقة ولكنه استمر فى توجيه اللوم والشتائم إلى الشاب الكندى .. ونظرت إلى الشاب الكندى فوجدته يقف مذهولاً وقد أحمر وجهه وبدأ عليه شئ من الغضب وعلق قائلاً وهو يشير بأصبعه إلى عصام : أنت اللى غلطان ومسئول عن الحادث وكمان

بتشتم وتغلط .. يبدو أنك مش فاهم حاجة فى السواقة والقانون وأكمل قائلاً : يجب أن تكون مؤدب وذوق أكثر من كده ازدادت عصبيت عصام وانفعاله وخرج من السيارة مسرعاً وهو يصيح بالكلام الجارح والشتائم واتجه إلى الشاب الكندى واقترب منه وهو فى قمة الانفعال والعصبية قائلاً أنا عارف وفاهم أكثر منك .. أنت اللى حيوان وغبى .. فعلق الشاب الكندى قائلاً : أنت مش باين تعرف حاجة عن الذوق والأخلاق. فازداد عصام انفعالاً وتهوراً وهجم على الشاب الكندى بعصبية وضربه بقبضة يده فى فمه بكل قوته فنزفت الدماء فى الحال من فمه وأسنانه واسرعت أنا وأمسكت بعصام ودفعته بعيداً ووقفت بينهما حتى أمنع اقتراب أحدهما من الآخر . وفى نفس اللحظة أقبلت الفتاة الكندية بسرعة وهى تصيح قائلة: خلاص يارتيشارد. لاداعي للعراك .. خلاص .. أنا سأتصل بالبوليس والبوليس سيتصرف معه . فنظر ريتشارد إلى عصام وقد أشتد به الغضب قائلاً: أنت يبدو أنك غير طبيعي ومجنون. أنت قد الضرب وأندفع الشاب

الكندى نحو عصام ، فصاحت الفتاة.. لا ياريتشارد لا ياريتشارد .. فأجابها أنا مش ها ضربه .. وحاولت أنا التصدى له ومنعه فدفعنى بيده جانباً وكدت أسقط على الأرض فقد كان ريتشارد شاب طويل القامة قوى البناء رياضى المظهر ويبدو عليه القوة والشباب وأمسك بعصام بيد واحدة من ملابسه من الخلف ورفعه عن الأرض أكثر من نصف متر وكأنه يرفع طفلاً صغيراً ونظر إلى عصام قائلاً : يمكننى قذفك فى هذا المنحدر هل تفهم وأقترب من سيارة عصام ومازال عصام معلق فى يده وأجلسه عصام فوق سيارته قائلا ومحذراً : أنت تجلس هكذا فوق سيارتك فى هدوء حتى مجئ البوليس .. هل تفهمنى .. وعاد ووقف بجانب سيارته فى هدوء .

وذهبت الفتاة مسرعة تبحث عن تليفون لابلاغ البوليس .. وأتجهت إلى عصام وأنا فى غضب وأسى لما حدث قائلاً : أيه اللى أنت فعلته يا عصام ؟ أنت عملت مشكله من لاشئ ؟ بينى وبينك أنت اللى غلطان .. ثم أن سيارتك يا أخى قديمه وخلصانه ولا تساوى شئ ولا

تساوى (٥٠٠ دولار) – فلماذا كل هذا الانفعال والتهور..
وأكملت قائلاً : أنظر إلى سيارته أسبور وحديثه وتساوى أكثر من خمسة وثلاثين ألف دولار.. وقد تحطم الجزء الخلفى تماماً وهو لم ينفعل مثلك أو يثور وقد أعتبر هذا سوء حظ ونجس وبتأثير الجليد وأخذ الأمور ببساطة متناهية.. وكان يجب أنت أيضا تعتبرها قضاء وقدر وأكملت قائلاً : يا عصام أنت بعصبيتك خلقت مشكلة من لا شئ .. كان لاداعى للعراك ولا داعى للضرب . كل يوم نشاهد على الطريق حوادث تصادم ويعمل التقرير بهدوء وتفاهم بين الطرفين ولم أرِ أبداً خناق وضرب كما فعلت .. وأخذت أتحدث وأتناقش مع عصام حتى أقبلت سيارة البوليس ووقفت فى مكان الحادث وخرج منها اثنين من رجال البوليس أقبل أحدهما نحونا وذهب الثانى إلى السيارة الأسبور ليتحدث مع الشاب الكندى.

وسأل رجل البوليس الذى أقترب منا من هو سائق السيارة .. فأجاب عصام : أنا فأكمل رجل البوليس قائلاً: أعطينى رخصة السواقة وأوراقك الشخصية.. فأخرجها

عصام من حافظته .. وقدمها إلى رجل البوليس.. وبدأ رجل البوليس أخذ بعض المعلومات وتدوينها فى أوراق .. وأخذ عصام يشرح لرجل البوليس كيف حدث التصادم...ولم تمضِ دقائق حتى أقبل رجل البوليس الثانى نحونا بعد تحدثه مع الشاب الكندى والفتاة واقترب من عصام قائلاً : التصادم شئ متوقع ويحدث كثيراً وهذا قضاء وقدر.. ولكن لماذا تعتدى بالضرب والشتائم على هذا الشاب ؟ وأكمل قائلاً : وآثار الدماء فى فمه وأسنانه ؟ هل هذا تصرف عاقل من شخص متزن وطبيعى ؟ فأجاب عصام قائلاً : هو اللى آثار أعصابى وأستفزنى. فعلقت الفتاة قائلة : ريتشارد لم يستثرك أو يستفزك هو سألك بكل ذوق لعمل التقرير ؟ وأنت اعتديت عليه بالضرب بدون أى سبب ؟

فنظر رجل البوليس إلى عصام قائلاً: هل هذا أسلوب حضارى للتفاهم والتعامل مع الأخرين ؟ واضح جداً من الحادث ووضع السيارتين وأماكن الصدمة أنك أنت المخطئ والمسئول عن الحادث .. وفى هذه الحالة نحن

مضطرين لعمل محضر الأعتداء عليه بجانب التقرير عن حادث التصادم .. وأكمل رجل البوليس قائلاً : أحب أعرفك أنك هنا فى كندا ولها قوانينها ويجب على أى شخص مهاجر أو مقيم بها لأى سبب من الأسباب احترام قوانين الدولة .. وعدم التصرف بالأسلوب البدائي الذى لا يليق بالآدميين .. فالضرب والمشاغبة ليست أسلوب حضارى أو أسلوب إنسانى ...

فاقتربت من رجل البوليس وقلت له متوسلاً : نحن نقدم أعتذارنا وأسفنا للكابتن ريتشارد لما حدث .. ونظرت إلى الشاب الكندى قائلاً: متأسفين جداً يا كابتن.. والحقيقة صديقى عصام كان فى لحظة انفعال وعصبية بتأثر حادث التصادم ... وأكرر أسفى واعتذارى لما حدث .. فقاطعنى رجل البوليس قائلاً: الاعتذار والأسف لا يغنى عن اتخاذ الإجراءات القانونية .. حتى لو تنازل ريتشارد عن حقوقه .. فالبوليس له الحق فى إكمال الإجراءات القانونية .. فالاعتداء على أى مواطن .. خطأ فى حق الدولة وخروج عن قوانين ولذلك يمكن تقديمه للمحاكمة

باسم الدولة أو بأمر من السلطات الحاكم بالدولة ..

وبدأ رجل البوليس فى عمل محضر لما حدث من مشادة واعتداء عصام وضربه بقبضته اليد للشاب الكندى.. وبعد اكمال المحضر . وعمل تقرير حادثة التصادم التى أثبت فيها مسئولية عصام فى حادثة التصادم أنصرف البوليس عائداً بعد أن أشار إلى الشاب الكندى بضرورة التوجه إلى المستشفى لعمل كشف واختبار لفمه وأسنانه ...

استدعى عصام أحد التركات ونقل سيارته التى أصيبت أصابة كبيرة فى مقدمتها إلى إحدى الورش لاصلاحها .. وبدأ الاتصال بشركة التأمين التى يتعامل معها . وبعد دراسة المسئولين عن التأمين لحالة السيارة والظروف المحيطة بالحادث .. قررت الشركة اعتبار السيارة خردة (سكراب) ولا داعى لإصلاحها .. وقررت الشركة صرف (٥٠٠ دولار) ثمناً للسيارة .

وأصبح عصام بدون سيارة مثلى .. وبدأنا معاً استخدم المواصلات العامة كالأتوبيسات والمترو للذهاب

والعودة من العمل .

والمواصلات العامة بمدينة مونتريال متوفوة ومنتظمة ومريحة ولذلك بدأنا نعتاد عليها وبمرور الوقت شعرنا بمتعه لاستخدام المواصلات العامة وأحسسنا بمتعه أكبر بتوفير وإدخار مصروفات السيارة ..

وبعد عدة أسابيع من وقوع الحادث تسلم عصام خطاب من المحكم بإدانته بالاعتداء على المدعو (ريتشارد مورفى) بالضرب وإصابته فى فمه وأسنانه .. وقد حددت المحكمة تاريخاً معينا لمناقشة القضية .

وفى اليوم المحدد ذهبت مع عصام إلى المحكمة باعتبارى شاهد لكل ما حدث .. وقد حضر الطرف الثانى ريتشارد والفتاة التى كانت بصحبته أثناء الحادث .

وأثناء مناقشة القضية اعترف عصام أمام القاضى بالاعتداء على ريتشارد بالضرب لانفعاله وتأثره بحادث التصادم، وبعد ادلأ كل من الطرفين بأقواله أمام المحكمة ومناقشة كل الظروف المحيطه بالحادثة والتشاجر قرر القاضى بأن يدفع عصام (٨٠٠ دولار) للمدعو ريتشارد

مورفى كتعويض عن ضربه وأصابته فى أسنانه وفمه وحكمت المحكمة أيضاً بشهر سجن لعصام مع ايقاف التنفيذ.

وعاد عصام وهو فى حالة ذهول شديد وآسى فلم يتوقع أبداً أن ضربة يد واحدة تكلفة كل هذا الجزاء وبدأت أواسيه وأخفف من أحزانه.. وأنبهه بأن يتخذ مما حدث درساً وعيرة وألا يترك نفسه مرة ثانية للانفعال والغضب وأن يبعد عن العنف.. والعنف لا يحل مشكله أو يحقق شيئاً وإنما يعقد الأمور ويجلب الكوارث والأزمات... والالتزام بالقوانين والتعامل فى حدود القانون هو الطريق الصحيح مهما كبرت المشاكل وتعذرت الحلول فهو الأسلوب الحضارى والإنسانى الذى يقبله العقل والمنطق.. فالقانون وضع لخدمة الناس وحماية المجتمع....

زواج کمشروع
استثماری

بدأ خليل يفكر جدياً فى الزواج واختيار شريكة حياته بعد أن قضى ثمانية أعوام فى بلاد المهجر بين العمل والكفاح لبناء مستقبله .. وقد أتم الثلاثين من العمر ..

فقد هاجر خليل فى أوائل السبعينات إلى كندا وأقام بمدينة مونتريال .. وكان يتميز عن الكثيرين فى مثل سنة من الشباب بطموحه الكبير فى تكوين ثروة كبيرة ورغبته فى أن يصبح من الأثرياء .. وبالرغم من أنه لم يكن له نصيب فى التعلم الجامعى فهو حاصل على دبلوم المدارس الثانوية الصناعية ولكن رغبته فى جمع المال وتكوين ثروة يدفعه دائماً للاجتهاد فكان يعمل فى النهار فى شركة للصناعات المعدنية كعامل صيانة وإصلاح للماكينات والمعدات وفى المساء يعمل حتى منتصف الليل

فى أحد المطاعم الكبيرة أو فى أحد الفنادق أو أى عمل يدر له دخلا إضافيا بجانب عمله الثابت فى شركة الصناعات المعدنية ...

وقد تمكن خليل فى خلال ثمانية أعوام أن يحقق شيئا ليس بالقليل من طموحة وهدفه فى تكوين ثروة كبيرة .. فأصبح له رصيد كبير فى البنوك بالإضافة إلى امتلاكه لمنزل مكون من أربعة شقق يؤجرها وتدر له مبلغاً شهرياً ..

وقد اشتهر خليل بين المصريين المقيمين بمونتريال والذين يعرفونه ببخله الشديد وحرصه الكبير فى الانفاق فهو يحب المال ويجد متعة كبيرة فى الإدخار والتحويش ويبدو ذلك واضحاً من عدم إهتمامه بمظهره .. وكان يمشى كل يوم عدة كيلومترات للذهاب والعودة من العمل فى البرد والصقيع ليوفر ثمن تذكرة أتوبيس .. وكان لا يذهب إلى المطاعم أو الكافيتريات أو أى مكان ممكن يكلفه بعض المال .. وكانت متعته الوحيدة مشاهدة شاشة التليفزيون .. أو الجلوس مع الأصدقاء فى المنزل للحديث

والدردشة..وكانت معظم أحاديثه ومناقشاته تدور حول الأعمال التجارية والأحوال الاقتصادية والمشروعات فكانت جلساته المفضلة تدور حول المال والأرباح ... فقد كان حبه للمال والثروة مسيطراً على كل تفكيره وحياته ..

ولذلك حينما بدأ يفكر فى الزواج راودته فكرة الزواج من فتاة مصرية تكون خريجة كلية الطب أو على الأقل طالبة فى كلية يمكنها بعد الزواج أن تكمل دراستها أو تعمل معادلة لشهادتها وتستطيع العمل كطبيبه فى كندا .. وذلك لأن دخل الطبيب فى كندا يعتبر أعلى دخل فقد يصل الدخل السنوى لبعض الأطباء إلى(٨٠ ألف دولار فى السنة) وقد يزيد عن ذلك وهذا مادفع خليل للتفكير فى الزواج من طبيبة أو كعادته بطريقة استثمارية أو كمشروع اقتصادى . وبدأ يبحث فى القاهرة بمساعدة أسرته وأصدقائه عن طبيبة أو طالبة طب بدون أن يظهر لأحد غرضه المادى والاقتصادى.. ولم يدم بحثه طويلاً فقد أتصلت به أسرته وأبلغوه بأنهم وجدوا له فتاة فى السنة الثالثة بكلية الطب جامعة القاهرة كما أوضحوا له

أنها ليست على درجة كبيرة من الجمال ولكنها من أسرة محافظة من أصل طيب ومستعدة للزواج والحياة فى كندا .. وبالفعل لم يتردد فى الرد على أسرته وإبلاغهم موافقته على الزواج من هذه الفتاة لأنها على الأقل طالبة طب وتحقق رغبته وشرطه الأساسى بكونها ستصبح طبيبه فى كندا .. وطلب من والدته بالتقدم وعمل اللازم وتقديم الشبكه والإعداد للزفاف عند نزوله فى الصيف القادم .. وسعدت أسرته كثيرا لموافقته وإهتمامه ورغبته فى الزواج وقاموا بكل ما يلزم بتقديم الشبكه والهدايا للعروسة ..

وفى بداية الصيف حضر (خليل) إلى مصر كما وعد وقد أعد كل ما يلزم للزواج .. وعند زيارته للعروسة ومشاهدته لها الأول مرة أحس بأنها ليست بالفتاة الجميلة أو بالفتاة التى تجذبه فهى متواضعة الجمال قصيرة القامة ذات شعر مجعد خشن سمراء داكنه وهو شاب طويل القامة مفتول العضلات توحى ملامح وجهه بالرجولة والجاذبية ولذلك أخذ يناقش ويحدث نفسه قائلاً: إنها كطالبة طب وطبيبة فى المستقبل دخلها وعملها كطبيبة

سيعوضنى عن كل شئ عن شكلها وعن جمالها بالإضافة إلى مركزها الاجتماعى كطبيبة .

استمر يفكر ويحلل بطريقته المادية وفى النهاية وجد أنها صفقة مربحة وزواج سيدر له مزيد من الثروة ويحقق له شيئا من طموحه.. وما أسعده أيضا استعدادها للهجرة والسفر إلى كندا .. ولم ينسِ فى حساباته بأنها ستكون طبيبه وهو مؤهل متوسط وبذلك أقتنع وأطمأن بأنها صفقه رابحة رغم شكلها وجمالها المتواضع وبذلك أظهر إعجابه بالعروسة وانطلق فى حديثه ومجاملاته .. وشرح لهم ظروفه التى تتطلب سرعة إتمام الزواج ليعود مع زوجته إلى مونتريال لمصالحة وأعماله هناك .. رحب أهل العروسة لطلبه وأعدوا فى سرعة كل ما يلزم الزفاف واستعدت اسرته أيضا للاحتفال .. وبدأت ليالى الأفراح والمسرات التى جمعت الأحباب والأصدقاء وشارك الجيران فى الأفراح . وبعد أيام قليلة وفى اليوم المحدد تم الزفاف وسط احتفال كبير ملئ بالسرور والابتهاج والزغاريد والغناء والموسيقى والورود ..والوجوه المشرقة

بالسعادة وسط التهاليل والمسرات فى سهرة كبيرة وفرحة عامرة وفى ليلة من ليالى العمر.

وبعد الاحتفال وتلقى العروسان التهانى والقبلات والتحيات والأمنيات الطيبة أتجه العروسان إلى الأسكندرية لقضاء أيام قليلة يستمتعان فوق بلاچاتها الجميلة ولياليها الساهرة ..وبعد أجازة قصيرة ممتعه ينهلان فيها من شهد الزواج والسعادة الزوجية عاد العروسان إلى القاهرة وبدأ فى إعداد حقائبهما استعداداً للرحيل إلى (كندا) حيث يستقران هناك ويكون اسرة مصرية هناك فى بلاد المهجر..

وفى اليوم المحدد تحرك الزوجان بحقائبهما إلى المطار بصحبة المودعين من الأهل والأصدقاء وبعد قبلات الوداع والدعوات الصالحة المصاحبة بدموع الفراق استقل الزوجان الطائرة المتجة إلى مونتريال فى رحلة ساعات طويلة قضاياها مع ذكريات الأحداث السريعة المتلاحقة ومع الأحاديث والمناقشات التى كانت تدور حول المستقبل وحياتهما المقبلة فى المهجر حتى وصلت

الطائرة مطار (ميرابل الدولى) بمونتريال واتجه الزوجان إلى منزل الزوجية أو الشقة التى أعدها خليل وفرشها وجهزها لتكون عش الزوجية الدائم والسعيد .. وبدأ (خليل) يشرح لزوجته (سهير) كل شئ عن المدينة وعن الحياة فى مونتريال ..وأخذها فى جولات فى المناطق المجاورة يطلعها على المناطق التجارية والأسواق..ويشرح لها طرق المواصلات والشوارع الرئيسية.. ويحدثها عن كل ما يتعلق بالحياة فى المجتمع الغربى .. وبدأت (سهير) مندهشة لمجتمع وحياة تختلف تماماً عن حياتنا فى مصر ولكنها ملهوفة وسعيدة لمعرفة كل شئ ...

وبعد إنتهاء إجازة (خليل) عاد إلى عمله وأخذت الحياة صورتها الروتينه أو الطبيعية وبدأت سهير تعد نفسها للدراسة بالجامعة من العام الدراسى المقبل الذى سيبدأ بعد أسابيع قليلة وذلك بعد أن قبلت الجامعه أوراقها وحددت لها مجموعة من المقررات الأساسية (فى الكيماء والطبيعة والأحياء) التى ستدرسها فى العام الدراسى المقبل كسنة

تمهيدية ونجاحها فى هذه المقررات شرط أساسي لقبولها للدراسة فى كلية الطب .. ولذلك بدأت فى استذكار بعض الدروس الإنجليزية لتحسن مستواها فى اللغة.. وكان خليل سعيداً جداً بقبول أوراقها بالجامعة ويشجعها ولا يبخل عليها بأى شئ لتستعد للدراسة فهو يعتبر دراستها نوع من الاستثمار فهو مستعد للانفاق عليها ويقدم لها كل ما تحتاج لمدة ثلاثة سنوات أو أربعة وبعد تخرجها تصبح طبيبه سوف تعوض له كل شئ ..

بدأ الفصل الدراسي الأول وانتظمت (سهير) بكل جدية وحماس .. تتواجد فى مواعيد المحاضرات ولا تتخلف أبداً عن الدروس العملية وكان يتطلب ذلك منها الخروج مبكراً لأن الجامعة تبعد كثيراً وتحتاج إلى أكثر من ساعة للذهاب بواسطة المترو والأتوبيس .. وكانت تضطر للسهر إلى ساعات متأخرة من الليل فى استذكار دروسها ..

كل ذلك بجانب تأدية كل واجباتها المنزلية كزوجة على خير وجه .. استمرت تعمل بكل اجتهاد بين الدراسة

والمنزل .. وبدأت تستعد لفصل الشتاء .. فقد أقبل الشتاء وبدأ الاستعداد لمواجهة البرد والثلوج .. فيبدأ الانخفاض في درجات الحرارة وارتفاع معدل الرطوبة في شهر أكتوبر مذكراً بأن الشتاء على الأبواب .. ولذلك يستعد الجميع سواء كنديين أو مهاجرين لمواجهة البرودة والثلوج فتجهز المنازل لمواجهة الشتاء بالتأكد من إحكام الشبابيك والأبواب للقفل حتى لا يتسرب أى خيط من الرطوبة إلى داخل المنزل ..وقد توضع بعض المواد العازلة حول الشبابيك والأبواب لهذا الغرض ..وكذلك تجهز السيارات أختبار البطارية والتأكد من صلاحيتها للشتاء .. وإعداد الموتور وكل أجزاء السيارة لمواجهة البرد الشديد وتركب بالسيارة الأطارات الخاصة بالشتاء لمنع انزلاق السيارة وانحراف مسارها فوق الجليد واستعدت سهير شخصياً بشراء بعض الملابس الثقيلة وكل ما يلزم للحماية من البرد... أقبل الشتاء وتوالى انخفاض درجات الحرارة عشرات تحت الصفر وتساقطة الثلوج ولم يمضِ أسابيع قليلة وقد غطت الثلوج كل شئ .. فلا يظهر فى الخارج

وفى الفضاء غير اللون الأبيض فالمنازل والشوارع والحدائق مغطاة بالثلوج ..

بدأت (سهير) تواجه الشتاء فكان عليها أن تمشى مسافات طويلة لاتخاذ الأتوبيس والمترو عند ذهابها إلى المحاضرات وعند عودتها .. ورغم كل التجهيزات والتحصينات بالملابس الثقيلة كانت تشعر بالبرد يلسع جسدها .. وكانت تعود إلى المنزل مرهقة ومتعبة وتشعر بصداع دائم وبعض آلام فى ساقيها ولكنها كانت تقاوم بالأدوية والمسكنات .. وفى إحدى الأيام وهى فى طريق العودة من الجامعة إلى المنزل وكانت البرودة شديدة مع هبوب الرياح وقد طال انتظار(سهير) فى الشارع وأمام محطة الأتوبيس الذى تأخر كثيرا عن ميعاده المحدد لسوء الأحوال الجوية .. ووصلت إلى المنزل ترتجف وتأخذ أنفاسها بصعوبة وقد ارتفعت درجة حرارتها وبدت ضعيفة منهكة فاصطحبها زوجها (خليل) إلى المستشفى ويعرضها على الأطباء وعملوا بعض الفحوصات والتحليلات تبين أنها مصابه بإلتهاب خفيف فى الرئتين

فنصحها الطبيب المعالج بالاحتياط الشديد والراحة التامة وعدم التعرض للبرد وأشار إلى أن جسدها حساس للرطوبه من السهل أن تسوء حالتها وقد تصاب بإلتهاب مزمن فى الرئتين ...

لذلك اضطرت (سهير) للراحة والبقاء بالمنزل.. ولكنها كانت قلقة على محاضراتها ودروسها بالجامعة... فالعام الدارسى يمضى والمحاضرات والدروس تتراكم وهى تدرك مدى أهمية نجاحها فى هذه المقرارات كأساس لقبولها للدراسة بكلية الطب ..

احتارت سهير واحتار زوجها وبدأ يوصلها بسيارته إلى الجامعة محاولاً مساعدتها بكل الطرق حتى تستطيع مواصلة الدراسة .. ولكن سهير لم تتحسن حالتها وبدت دائما مرهقة ومتعبة وأخذت حالتها الصحية فى التدهور وقل مجهودها وتركيزها واختفى نشاطها وأصبحت ضعيفة لا تستطيع السهر والأستذكار أو الجرى وراء المحاضرات مما سبب لها أضطرابات نفسيه ومتاعب كثيرة وظهر ذلك واضحاً من نتيجة أمتحانات الفصل

الدراسى الأول (ترم أول) فرسبت فى معظم المواد ولم تستطع الحصول على درجات النجاح...

حزنت سهير وحزن زوجها خليل أكثر منها لأن أحلامه وتوقعاته بدأت تهتز.. ولكن كان أمهامها فرصة أخرى للإعادة فى العام الدراسى القادم .. فلم تيأس سهير وبدأت تستعد للإعادة بكل جدية وأمل للنجاح فى الفرصة القادمة ..

مرت الأيام وبدأت سهيرتحاول التأقلم على المناخ والظروف المحيطة وتهتم بصحتها .. وقد ساعدها انتهاء الشتاء وتحسن الأحوال الجوية .. فبدأت تستعيد حيويتها ونشاطها ويدأ الأمل والثقة تعود إليها فى تحقيق رغبتها ورغبة زوجها بالنجاح والدراسة بكلية الطب لتصبح طبيبة فى كندا ..

وكان زوجها بجانبها دائما يحمسها ويشجعها ويحقق لها كل رغباتها.. وبدأ العام الدراسى من جديد وبدأت نشيطة مجتهده.. فقد استعادت صحتها وبدأت تتكيف بالظروف وتتأقلم وانتظمت فى دراستها وبدت أكثر تجاوباً

وأستيعاباً مما أزدادها حماسا ورغبة فى الأستذكار والإطلاع ..

ومرت الأيام وهى تتقدم وتتمكن من دراستهامما زادها حماسا وأجتهاداً وزودها بدفعة كبيرة من الأمل ...

وفى أحد الأيام أحست ببعض الأعراض الغريبة تشبه أعراض الحمل فدهشت ولم تصدق نفسها .. ولما ذهبت إلى طبيب أخصائى أكد لها صحة شعورها وتوقعاتها .. فأكدلها بأنها حامل فى أكثر من شهرين ويجب أن تتخذ أحتياطتها وتهتم بنفسها حرصاً على حياة الجنين ..

وأسرعت تخبر زوجها وتسعده بخبر الحمل وتوقعت أنه سيطير من الفرح فسوف يصبح قريباً أب وسوف يسعد بالمولود ولكنها فوجئت به بعد أن أخبرته بأنها حامل قد هاج وثار وصاح فى وجهها قائلاً : حامل .. حامل أيه يا مدام .. مش وقت الحمل والأطفال.. ونظر إليها صائحاً فى وجهها : أنتى لازم تتخلصى من الجنين... أنتى لازم تعملى أجهاض وتنزلى الجنين بأسرع وقت ممكن .. أنت

فاهمه ...

ذهلت سهير من تصرفات زوجها وغضبه وثورته لأنها حامل وبدت على وجهها الحيرة والآسى لانفعاله وصياحه ونظرت إليه بهدوء قائلة : أحب أعرف ليه مش عايز أطفال وعايز تنزل الجنين ؟ .. فنظر إليها وأجاب قائلا : بالطريقة دى أنتى مش هاتقدرى تدرسى فى كلية الطب وأنت حامل أو معكى أطفال مش هاتكملى دراسة .. فاقتربت منه ونظرت إليه فى غضب وبصوت حاد قائلة: دكتورة وكلية طب.. أنت فلقتنى وكرهتنى فى الطب وفى الدراسة.. خلاص أنا مش عايز أدرس ولا أكون دكتورة علشلن تستريح .. كل شئ عندك الطب والدكتوره والفلوس والمستقبل.. هو الأطفال والأسرة مش مستقبل وبناء جيل وتكوين أسرة.. وده جزء أساسى للحياة والمستقبل .. وعلى العموم علشان تكون مبسوط أنامستعدة أذهب للدكتور وأعمل أجهاض وأتخلص من الجنين إذا كان لا يؤثر على حالتى الصحية .. وليس لها أى آثار على فى الإنجاب فى المستقبل وتركته وانصرفت إلى

غرفة النوم .. استمرت سهير فى حيرة وقلق من تصرفات زوجها وغضبه بعد علمه بالحمل وعدم رغبته فى الأولاد وسرحت وبدأت تفكر محدثه نفسها قائلة : يا إلهى أنه لا يكف الحديث عن المستقبل والأرباح والدخل .. فكل شئ يحلله ويقيمه من الناحية المادية ..حتى الإنجاب والأطفال فى مفهومه سوف يؤثر على الدراسة والمستقبل وبالتالى سوف يؤثر على الدخل والثروة .. وهزت رأسها فى حيرة وأكملت محدثة نفسها: ماذا ينتظر من المستقبل. أنه يمتلك مالايمتلكه أطباء ومهندسين مهاجرين منذ خمسة وعشرون عاماً ... ماذا يريد من الحياة.. وماذا ينتظر من المستقبل .. هزت رأسها وصمتت وبدت وكأنها فى تعاسة كبيرة ...

ولذلك لم تمضِ بضعة أيام اصطحبته معها وتوجها معا إلى أحد الأخصائيين فى أمراض النساء وشرحت للطبيب رغبتها فى التخلص من الجنين بإجراء عملية إجهاض ..

وبعد كشف الطبيب عليها وفحصها وعمل بعض

التحليلات أخبرها هى وزوجها أنها لا تستطيع الأجهاض نظرا لأن حالتها الصحية لا تسمح بالإضافة إلى أن الحمل فى الشهر الرابع وهذا يزيد من الخطورة .. ونصحها الطبيب بضرورة الاحتفاظ بالجنين مع اهتمامها بصحتها والتزامها للراحة ..

عاد الاثنان إلى المنزل وقد بدأ خليل فى ذهول وظل صامتاً يائساً وقد أحس أنه أمام الأمر الواقع وشعر بأن مخططاته وآماله بعيدة من الصعب تحقيقها ...

بدأت سهير تنفيذ تعليمات الطبيب بالاهتمام بصحتها والتغذية والراحة .. وألا تعرض نفسها لأى عوامل قد تؤثر على الجنين وفى نفس الوقت كانت تواصل استذكارها بجدية وحضور محاضراتها ودروسها العملية بإنتظام ،، ولكن بمرور الأيام وتقدم شهور الحمل بأت تحس بالتعب لأقل مجهود .. وقل تركيزها .. وأصبحت سريعة النسيان وقد أقلقها ذلك وحيرها على دراستها ومع تقدم الحمل قل مواظبتها على الحضور وقل استذكارها ومراجعتها لدروسها ولم تستطع التركيز

واستيعاب المقررات ...

أقبلت امتحانات نهاية العام الدراسى ولم تستطع تأدية امتحاناتها بالصورة المطلوب والتى تحقق لها النجاح ولتحقق أمنيتها وأمنية زوجها للقبول للدراسة بكلية الطب.. تألمت سهير وحزنت كثيرا فكانت هذه الفرصة الثانية والأخيرة للنجاح فى المقررات الأساسية التى حددتها لها الجامعة وبذلك ضاعت أمنيتها فى إكمال دراستها فى كلية الطب.. وضاع أملها وأمل زوجها فى أن تصبح طبيبه ..

صدم خليل وحزن لضياع آماله وأحلامه وفشله فى حساباته ولتحقيق طموحه .. وبدأ يستعيد حساباته من جديد كعادته وقد شعر بالندم والفشل فقد قبل الزواج من فتاة غير جميلة وغير جذابة طمعاً فى مركزها الاجتماعى فى المستقبل كطبيبه .. ولكن ضاع المستقبل وضاع المركز الاجتماعى ولذلك بدأت تتغير نظرته وشعوره إليها .. فأصبح ينظر إليها الآن بمنظار آخر وبمقاييس أخرى .. فلم يعد يرى سوى شكلها القبيح

وقوامها الضعيف فقل أهتمامه بها وأصبح لا يقدرها ولا يحترمها كثيراً يعاملها ببرود وجفاف وينعى دائما حظة وبخته الأعثر .. مرت الأيام ووضعت سهير بالمستشفى طفلة جميلة وفى صحة جيدة.. وبدت سهير سعيدة بطفلتها تهتم بها وترعاها..ولكن خليل لم تتحسن معاملته لزوجته بل ازدادت سوءاً بالأهمال وعدم الاكتراث بها وعدم مراعاة شعورها وقد فهمت سهير وأدركت كل هذه الأمور وكل هذه التغيرات بعد فشلها فى الدراسة وضياع فرصتها فى كلية الطب .. وقد أدركت واقتنعت بأن زواجه منها كان بهدف الزواج من دكتورة لتدر عليه دخلاً كبيراً وتساعده فى تحقيق شيئاً من طموحه للثروة والغنى.. فزواجه كان أساساً مشروع إقتصادى أو صفقة تجارية .. فكل شئ فى حياته مبنى على الفائدة والأرباح

بدأت سهير تضيق بتطلعاته وتحتقر أساليبه وتفكيره المادى وتمقت جنونه للثروة والغنى وبدأت تبادله نفس الشعور بالأحتقار وعدم المبالاة .

وفى أحد الأيام عاد إلى المنزل ثائراً غاضباً كعادته وفى حديثه إليها ناداها بطريقة استفزازية قائلاً: أنت يا غبية .. مش كده يا حيوانه .. وهنا انطلقت سهير غاضبة ثائرة ولأول مرة تصيح بأعلى صوتها قائلة: أنت اللى حيوان .. أنت اللى الغبى .. وأكملت قائلة: لقد سيطرت الفلوس والثروة على عقلك وكل حواسك .. فاندفع إليها غاضباً ثائراً كالحيوان الشرس قائلاً: كمان وصلت للدرجة دى يا سافلة .. وأحمر وجهه وجحظت عينيه وأخذ يضربها بكل عنف وقسوة فى وجهها وفوق رأسها ويدفعها بعنف .. واستمر يضربها فى كل مكان بجسدها وبدون رحمة حتى سقطت على الأرض تبكى والدماء تنزف من أنفها وفمها كالضحية البائسة التى كانت فريسة وحش كاسر ملأت قلبه الأنانية والاستغلال ..

ثم أتجه إلى غرفته وهو يصيح بأعلى صوته قائلاً: بكره سأحجز لكى على إحدى الطائرات وأرسلك إلى مصر وأتخلص منك إلى الأبد .. كررها عدة مرات وتركها ملقاة على الأرض تتلوى من الألم وأتجه داخلاً

إلى غرفته ..

أخذت سهير تبكى وتنوح على حظها العاثر وتتوجع من الجروح وآلام الضرب المبرحة واستندت إلى الحائط وهى تترنح فى خطواتها وتكاد تسقط على الأرض حتى وصلت إلى التليفون.. وأدارت نمرة بوليس مونتريال وطلبت المساعدة فهى فى شبه غيبوبة والدماء تنزف منها وأعطتهم العنوان ..

لم تمضِ ربع ساعة كانت تقف سيارة البوليس أمام المنزل .. وتقدم اثنين مسلحين من رجال البوليس إلى الداخل ومجرد أن وجداها فى هذه الحالة أتصل أحدهما بالأسعاف وحضرت عربة الأسعاف.. وقاموا رجال الأسعاف بعمل بعض الأسعافات وتضميد الجروح .. وأتم البوليس المحضر الذى أثبت فيه إعتداء زوجها (خليل إبراهيم) عليها بالضرب الوحشى واصابتها إصابات عديدة...

وحملت عربة الأسعاف سهير وطفلتها إلى المستشفى لعمل الاختيارات والفحوص للوقوف على حالتها

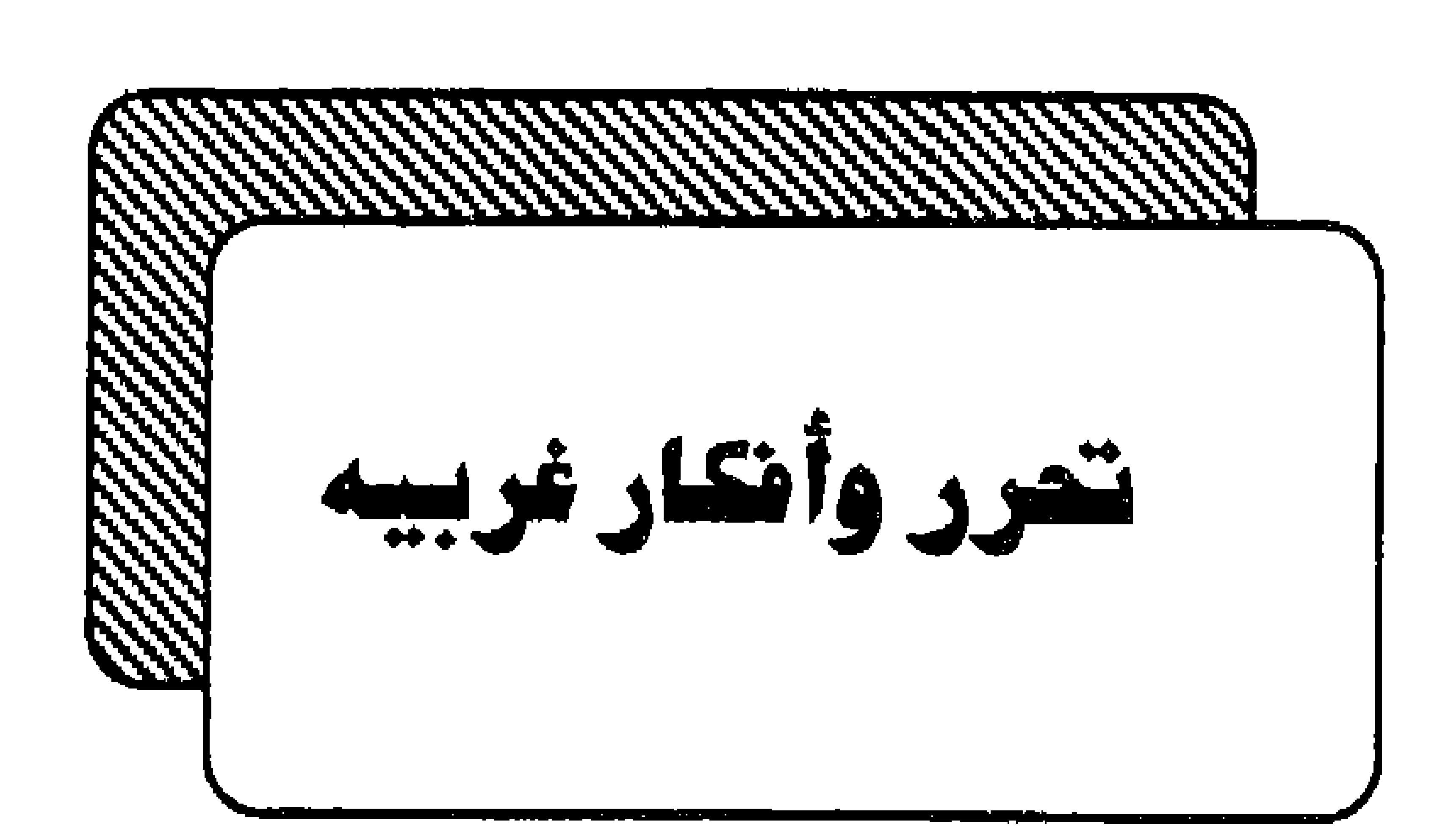
الصحية..

اعتقل البوليس خليل وساقوه إلى عربة البوليس .. وحاول أن يتكلم فلم يسمعوا له ونقلوه إلى محطة البوليس لعمل الإجراءات ولتقديمه للمحاكمة طبقاً للقانون الكندى الذى يحرم الضرب أو الأعتداء الوحشى على الزوجة .. ويعتبر القانون ذلك عملا أجراميا يقدم فاعله إلى محكمة الجنايات..

بالمستشفى التقت إحدى الأخصائيات الاجتماعيات بسهير لمساعدتها وشرحت لها سهير كل شئ بالتفصيل .. فكلفت الأخصائية أحد المحامين لتولى مساعدتها ومسئوليتها القانونية ..ورفع محامى سهير قضية انفصال .. وأصبح من حقها أن يترك خليل لها المنزل لتقيم فيه بمفردها مع طفلتها كما ينص القانون وأن تقاسمه فى كل ما يمتلك من عقارات ورصيد فى البنوك .. وقدم خليل للمحاكمة لضربه المبرح لزوجته وحكم عليه بشهر سجن ويدفع تعويض كبير لزوجته واستقرت سهير بالمنزل مع طفلتها ووضعت يدها على نصف ثروته وممتلكاته بعد

أن تم انفصالها عنه بالقانون .

وضاعت معظم ثروة خليل فى لمح البصر التى كونها وادخرها في سنين طويلة بالتقشف والبخل الشديد.. فقد كان المال دائما حبه وشغله الشاغل وإلهه الذى يتعبد له والذى أوصله فى النهاية إلى الهلاك والسجن ..


تحرر وأفكار غربيه

استلمت مدام هدى عملها بمصنع للخياطة بمناطق مونتريال الشمالية الصناعية .. وبدأت العمل على إحدى ماكينات الخياطة بالمصنع المتخصص فى إعداد وتجهيز ملابس الأطفال والسيدات .. وكان هذا اليوم بالنسبه لمدام هدى له انطباعات خاصة لم تشعر بها طوال حياتها من قبل .. فهو اليوم الأول لاستلامها العمل بعد أن تركت مصر وحضرت مع زوجها كمهاجر بكندا وقد تجاوزت الخامسة والأربعين من العمر .. وللمرة الأولى فى حياتها تضطر للعمل بعد أن ظلت طوال حياتها ست بيت ولم تعمل قبل الزواج فقد تزوجت وهى طالبة بالمدارس الثانوية وكان زوجها الأستاذ (شفيق) الذى يعمل موظفاً بالشئون الادارية بوزارة الزراعة بالقاهرة ..

وبالرغم من أن مرتبه كان يكاد يسد احتياجاتهم والتزاماتهم المعيشية ولكنه فضل أن تظل زوجته دائما بالمنزل كست بيت فهذا يسعده ويريح باله كثيراً كما كان يفكر الكثيرون فى ذلك الوقت وعليهم أن يدبروا حياتهم ومعيشتهم فى حدود مرتبة ..

ولم تمضِ عدة شهور من الزواج وقد حملت مدام (هدى) فى ابنتها الأولى التى استقبلوها بفرحة وسرور وسمتها (ليلى) .

وبدأت الأسرة تكبر ويزداد عدد أفرادها فلم تتجاوز (ليلى) سنتين من العمر وضعت مدام هدى ابنتها الثانية (سلوى) ...

وأصبح الأستاذ شفيق أب لطفلتين جميلتين تملأن البيت بهجة وسرور .. ولكن كرغبة الرجل دائماً فى أن يكون له ابنا يحمل اسمه وتطلع الأم أيضا فى أن تنجب ولداً يرفع رأسها عاليا بين أقرانها ويرعاها فى الشيخوخة والعجز لذلك حملت (مدام هدى) بلهفة وأمل وقد حالفها الحظ وأنجبت ابناً وسمته (رؤوف) ..

وكانت فرحة الأستاذ شفيق بابنه (رؤوف) فرحة كبيرة لا توصف فقد تحققت أمنيته فى من يحمل اسمه ويكون له عوناً وسنداً عندما يتقدم فى السن ..

وأصبحت الأسرة كبيرة ولد وبنتان فمن الطبيعى أن تزداد نفقات الأسرة لازدياد احتياجاتهم المعيشية .. ولكن الأستاذ شفيق كان يعمل كل ما فى وسعه لتحقيق مطالب زوجته وأطفاله وإسعادهم فقد وفق فى إيجاد عملاً مسائياً كمعلم فى مركز من مركز محو الأمية لتعليم القراءة والكتابة لكبار السن ولمن فاتتهم فرصة التعليم فى نظير مبلغ بسيط رمزى شهريا ولكنه بالنسبة للأستاذ (شفيق) كان شيئاً عظيماً ومفيداً فكان يساعده على سد نفقات الأسرة بجانب مرتبه المحدد ..

مرت الأيام هادئة قانعة والحياة تمضى فى سريانها الطبيعى .. فالأطفال تنمو وتكبر والأم تبذل غاية جهدها فى تنشئة وتربية أبنائها ومراعاتها فى دراستهم وتحرص على نجاحهم وتقدمهم بجانب أدائها لكل واجباتها المنزلية كزوجة نشيطة مجتهدة ..

ومرت الأعوام والسنين وكبرت البنتان وأصبحتا صبيتان بالمدارس الثانوية على درجة كبيرة من الجمال والرشاقة بالإضافة إلى الأخلاق الطيبة .. وتقدم أحد أبناء الجيران والمقيم بالخارج (كندا) لخطبة الابنه الكبرى (ليلى) ..

وافق الأستاذ شفيق ووافقت زوجته نظراً لأن العريس من أسرة طيبه وهو شاب ممتاز ويعرفوه منذ صغره بحكم أنهم جيران فى نفس العمارة منذ زمن بعيد ..

تزوجت (ليلى) الابنه الكبرى وبعد الزفاف والاحتفالات والأفراح اصطحبها عريسها إلى كندا بلاد المهجر وفى مدينة (مونتريال) للإقامة والحياة هناك ..

ولم يمضِ عاما واحد من وصول (ليلى) مع زوجها وإقامتها بمونتريال حتى قرر أحد أصدقاء زوجها ويعمل معه بنفس الشركة وتربطهما صداقة وطيدة للتقدم للزواج من أخت ليلى وحضر العريس إلى مصر وتمت إجراءات الزفاف..

وبعد أجازة زوجية قصيرة بالقاهرة اصطحب العريس

عروسته (سلوى) إلى محل إقامته وعمله بموتريال ليبدأ حياتهما الزوجية ويكونا أسرة مصرية فى بلاد المهجر...

وبذلك زوجت مدام هدى ابنتيها (ليلى وسلوى) ولم يتبقِ معها هى وزوجه إلا ابنها الوحيد (رؤوف) ..

وكان (رؤوف) فى ذلك الوقت طالبا بالمدرسة الثانوية .. وكانت والدته تحبه كثيراً وتلبى له كل رغباته وطلباته ..

أما والده الأستاذ شفيق فبالرغم من حبه الشديد لابنه (رؤوف) ، لكنه كان يعارض زوجته فى مواقف كثيرة لأنه يرى أنها تبالغ كثيرا فى تدليله وتلبيه رغباته فربما أفسد ذلك من أخلاقه أو جعله ضعيف الشخصية ..

وفى أحد الأجازات الصيفية سافر (رؤوف) إلى كندا لزيارة أختيه المتزوجتان والمقيمتان هناك بمونتريال وليستمتع بمشاهده أحد الدول الغربية الكبيرة .. وقد أعجبته مونتريال كثيرا لما وجد من أنطلاق وحرية الشباب .. فكل شئ مباح والحرية متاحة للجميع فقط وفى حدود القانون ..بالاضافة إلى التكنولوجيا والتقدم والرفاهية

والحياة الميسرة. ولذلك عاد إلى مصر وفى ذهنه فكرة الهجرة والرحيل إلى كندا. وبدأت الفكرة تتضخم وتكبر فى رأسه.. وعرض على والده ووالدته فكرة الهجرة ولكنهم عارضوه واقترحوا عليه تنفيذ رغبته بعد الأنتهاء من الدراسة الجامعية ولكنه أصر على عمل الهجرة لرغبته فى إكمال دراسته هناك وكان يحاول إقناع والديه قائلاً : أننى سوف أعمل بجانب الدراسة فمعظم الطلبة يشتغلون لتوفير مصاريف الدراسة ونفقاتهم .. وأن فرص العمل متوفرة للطلبة فالحكومة تشجع ذلك ..

ولم يكف عن طلبه للسفر والهجرة .. وبدأت الفكرة تروق لمدام (هـ د ى) وتشغلها ووجدت أنها فرصة أن تكون بجانب ابنتها وتحقق لابنها الوحيد رغبته.. فعرضت على زوجها فكرة الهجرة وبدأت تحببه وترغبه للسفر والهجرة .. ولالحاحها وطلبها المستمر وافق الأستاذ شفيق فى النهاية أمام رغبة ابنه وزوجته والحاحهما فقام بكل إجراءات الهجرة واستقال من وظيفته وعمل تصفية لمعاشه من وزارة الزراعة وأعدوا كل شئ للرحيل وحملوا

أشيائهم وحقائبهم واستقلوا طائرتهم في رحلتهم الطويلة حتى وصلوا إلى مونتريال ..

وكان في انتظارهم ابنتيها (ليلى وسلوى) وأزواجهما واستقبلوهم بفرحة وسرور كبير وبعد الاستقبال والاحتفال اللائق مكثوا في ضيافة الابنه الكبرى لحين تدبير أمورهم.. ثم استأجروا شقة مناسبة للسكن .. وقامت (ليلى وسلوى) بعمل اللازم لمساعدتهم حتى يستقروا ويبدأوا حياتهم كالاف من المهاجرين .. فأوجدوا لوالدهم عمل في محل تجارى كبير للمنتجات الشرقية يمتلكه أحد المستثمرين العرب ..

أستلم الأستاذ شفيق عمله مسروراً قانعاً رغم أنه عمل بسيط ومتواضع ولكنه كان يعمل باريتاح باذلاً كل جهده وبهمة ونشاط ورغم تجاوزة الثانية والخمسين من العمر .. فكان يدرك أن هذا العمل هو مصدر رزقه الوحيد لمواجهة التزامات أسرته وإعالة زوجته (مدام هدى) التى بقيت في البيت كست بيت تهتم بشئون المنزل ومساعدة ابنه (رؤوف) لاستكمال دراسته .

بدأت الأسرة تشعر بشئ من الاستقرار وبدأت الحياة تأخذ صورتها الطبيعية .. ويزداد تعودهم على الحياة فى مجتمعهم الجديد يوما بعد يوم ..

وفى صباح أحد الأيام وكان فى منتصف الشتاء وقد اشتدت البرودة وقد غطت الشوارع والطرقات والمنازل بالثلوج .. وبينما كان الأستاذ شفيق خارجا من منزله ومتوجها إلى عمله بعد أن أرتدى ملابسه الثقيلة وأعد نفسه لمواجهة البرد.. وكان يضطر أن يسرع الخطى ليلحق الأتوبيس حتى يصل إلى عمله فى الميعاد المحدد وبدون تأخير أنزلقت قدمه فوق السلالم الخارجية للمبنى الذى يسكن فيه وأختل توازنه وهوى بجسده ساقطاً على السلالم وتدحرج إلى أسفل عدد من درجات السلم حتى استقر بجسده على رصيف الشارع أسرع إليه بعض الماره وحاولوا مساعدته ولكنه كان غير قادر على الحركة.. يتوجع ويئن من شدة الألم فقد ارتطم جسده وعظامه بالسلالم والثلوج المجمدة التى تشبه فى صلابتها ألواح الزجاج فحملوه إلى مدخل المبنى وأبلغوا الأسعاف

التى حضرت سريعا ونقلوه إلى مستشفى (فوتروام) القريبه من مسكنه ..

وبعد الكشف عليه وعمل الفحوصات والأشعه اللازمة تبين أن مصاب بكسر فى العمود الفقرى..ولذلك نصحه الأطباء بالبقاء راقداً فوق السرير بدون حركة.. وقام العاملون بالمستشفى بخدمته ومساعدته ..

وقد صدمت الأسرة بأكملها لما حدث للأستاذ (شفيق) وخاصة زوجته التى حزنت كثيراً وبكت لما حدث لزوجها وكذلك ابنتيه حزنتا وتألمتا للكارثة التى حدثت لوالدهم.. واستمر الأستاذ شفيق وقتاً طويلاً بالمستشفى تحت العلاج والرعاية الطبية .. فكانت أصابته فى العمود الفقرى وفى هذا السن بعد أن تجاوز الثانية والخمسين تصبح أكثر خطورة .. فالتأم العظام وليونة الأعصاب من الصعوبة فى ذلك السن .. ولكن ليس هناك صعب أو مستحيل فى الطب الحديث .. أستمر رأقداً فوق سريره لا يقدر على الحركة ويبدو وكأنه شبه عاجز ومحطم .. مما أقلق زوجته وأولاده وبدأوا يشعرون باليأس

والجيرة فقد مضت عدة شهور على إصابة والدهم وبالرغم من الأهتمام والعناية الطبية الكبيرة فلم تتحسن حالته إلا بقدر ضئيل فمازال ملازماً فراشه ...

بدأت الأسرة تفكر جدياً لمواجهة هذه الكارثه التى حلت بوالدهم الذى يعمل ويعول الأسرة .. وقد تبين أن حالة والدهم تحتاج مزيد من الوقت قد يصل إلى سنتين.. وربما قد يحتاج إلى عملية جراحية كبيرة فى العمود الفقرى..ولا أحد يستطيع أن يعرف حتى أطبائه المعالجين هل يستطيع العودة إلى عمله بعد إجراء العملية أم لا .. ولذلك بدت الزوجة تعيسه حائرة تفكر كيف تواجه التزامات البيت من الإيجار ونواحى المعيشة الأخرى ..

وأمام الحياة المكلفة فى مونتريال لا يستطيع أحد البقاء بدون عمل أو بدون دخل لمواجهة النفقات الكبيرة وبدأت تفكر فى كل النواحى وابنتيها تحاولان مساعدتها بقدر استطاعتها ولكنهما عليهما مسئوليات معيشتهما أيضاً.. وابنها (رؤوف) مازال طالباً ولا يستطيع الاعتماد عليه .. بدت الحياة خانقة مظلمة أمامها وشعرت باليأس

والتعاسة .. ولكن ابنتيها (ليلى وسلوى) كانتا تطمئنانها وتشجعانها فالضمانات الاجتماعية كثيرة وحكومة كندا تضمن حياة كريمة لكل مواطنيها وبدأت (ليلى) وأختها تفكران فى إيجاد حل لمواجهة هذه الأزمة فاتصلتا بوزارة الشئون الاجتماعية والمختصين لمثل هذه الظروف فأسرعت إحدى الأخصائيات الاجتماعيات بالحضور وجلست مع الأسرة وناقشت كل الظروف والاحتمالات وبعد الدراسة التحليلة قررت الأخصائية الاجتماعية صرف مبلغ بسيط شهرى للأستاذ (شفيق) لاصابته وعدم مقدرته على العمل..وقررت الأخصائية الاجتماعية بضرورة خروج مدام هدى للعمل فهناك كثير من الأعمال تناسب سنها (الخامسة والأربعين) .. فهى فى صحة جيدة وقادرة على العمل .. وقد وعدتهم بإيجاد عمل مناسب لها .. وعند مناقشة الأخصائية لمدام هدى عن تعليمها وقدراتها أوضحت لها مدام هدى أنها لم يسبق لها العمل ولكن لديها بعض الخبرة فى الخياطة والتفصيل .. فكانت لديها بمنزلها بالقاهرة ماكينة خياطة

وتقوم بإعداد ملابسها وملابس أطفالها بنفسها .. ولم تمضِ أيام قليلة أتصلت بها الأخصائية وأخبرتها بأنها وجدت لها عمل على ماكينة خياطة فى أحد مصانع لاعداد وتجهيز ملابس الأطفال والسيدات ..وأعطتها اسم المصنع والعنوان ..

وتوجهت مدام هدى لاستلام عملها ولأول مرة فى حياتها بعد أن تجاوزت الخامسة والأربعين من عمرها .. وكان من الطبيعى أن ينتابها كثير من المشاعر والأحاسيس فى ذلك اليوم .. ومن الطبيعى أيضا أن تشعر بصعوبة وبالتعب والأجهاد فى الأيام الأولى من العمل نظراً لعدم تعودها العمل فى المصانع والشركات .. ولكن مع الوقت وبمرور الأيام بدأت فى التأقلم والتعود وأحست بسهولة فى أدائها للعمل يوماً بعد يوم ..

ولقد ساعدتها كثير من السيدات الزميلات فى العمل فهى سيدة لطيفة على درجة كبيرة من الجمال فوجهها صخرى دقيق الملامح وعينيها المصرية الجميلة .. وشعرها الأسود المسترسل وقوامها الممشوق رغم تجاوزها

الخامسة والأربعين جعلها تبدو سيدة جذابة رقيقة .. وقد ساعدها ما تمتلك من اللغة الفرنسية وبعض الانجليزية على التحدث مع زميلاتها وتكوين بعض الصداقات .. وبدأت تتكيف بظروف العمل وتشعر ببعض التسلية وقضاء وقت لطيف فى العمل مع صديقاتها وزميلاتها بين الأحاديث والنكات والمزاح فى بعض الأحيان .. وكانت فى فترة الغذاء وأوقات الراحات تجلس مع بعض الزميلات الكنديات يتحدثن عن أحوالهن أوعن ذكرياتهن..وقد لأحظت مدام هدى أن زميلاتها الكنديات يأخذن الحياة ببساطة تامة ويعيش حياتهن بالطول والعرض.. ويمارسن حقهن الطبيعى فى الحياة ويحصلن على رغباتهن ويعتبرن ذلك حق طبيعى للمرأة أو الرجل.. فالمرأة وفى أى عمر من سن المراهقة حتى الشيخوخة يجب أن تكون بجانب رجل تحبه سواء كان بالزواج أو بغير الزواج ..

وبمعرفتها وحديثها مع زميلاتها الكنديات عرفت أشياء غريبة لم تكن تعرفها أو تسمع عنها من قبل فالمرأة

الكندية أو الغربية بوجه عام إذا كانت تعرف رجل سواء بالزواج أو بغير الزواج وشعرت أنها لم تعد تحبه .. أو تشعر أن زوجها لم يصبح يحبها تتركه .. فهم يحبون الصراحة والوضوح فى كل شئ .. فلا تلجأ المرأة إلى خداع زوجها وخيانته مع رجل آخر لكنها تفضل أن تنهى حياتها معه بالانفصال أو الطلاق .. وتبحث عن رجل آخر أو حب أخر لتمارس حقها الطبيعى فى الحياة بكل بساطة ووضوح فى أى سن .. وتحاول أن تسعده وتسعد نفسها معه .. دهشت مدام هدى لكثير من المفاهيم وأفكار السيدات الكنديات .. فالمرأة الكندية لا تعطى أى اعتبار لعامل السن فهى تلبس وتتصرف دائما كالفتيات الصغيرات وذلك لأن فى مفاهيمهن أن المرأة لها أحاسيسها ومشاعرها وتحيا طالما هى على قيد الحياة وقادرة على ذلك ... وكانت مدام هدى تواجه هذه الآراء والمفاهيم من السيدات الكنديات بالدهشة والغرابة ولا تفكر فيها كثيراً وكانت تأخذها على أنها مجرد أحاديث وتضييع وقت ولا تعطيها أهتماماً كبيراً .

وكانت زميلاتها فى العمل ينظرون إليها بإعجاب دائما يمدحون جمالها وحاذبيتها المصرية وطولها الفارع الممشوق .. ودائما يحسدونها على عينيها السودوان الجميلاتان وشعرها الأسود المسترسل الطويل وهى تقابل ذلك دائما بابتسامة رقيقة ..

وكان يعمل بالمصنع عدد من الرجال فى قسم الصيانه .. يقومون بإصلاح وصيانة الماكينات وفى شحن واستقبال البضائع والأعمال الأخرى التى تحتاج إلى قوة وعنف... وكان بين عمال الإصلاح والصيانة رجل فرنسى يدعى (مارك) يبلغ الخمسين من العمر وكان منفصلا عن زوجته منذ زمن بعيد .. وكان (مارك) طويل القامة فرنسي الملامح والتقاطيع مفتول العضلات يبدو كأنه شاب فى الثلاثين كثير المزاح والكلام ..

ومنذ بدأت مدام (هدى) العمل بالمصنع وشاهدها (مارك) أعجب بها كثيراً .. وأحبها لجمالها وهدوئها ولجاذبيتها الشرقية وحاول أن يتقرب إليها فى كثير من

الأوقـات بالحـديث أو المزاح ولكنهـا كـانت دائمـا تـقـابله بالخجل والكسوف.. ولم تتجـاذب معه أو تعطية فرصة للتمادى معها.. ولكنه كان يدرك أنها سيدة شرقية خجولة وكان دائما لطيفاً معها يعاملها برقة وذوق كزملاء فى العمل.

وكانت من أكثر زميلاتها وصديقاتها فى العمل ارتياحاً وانسجاماً معها صديقتها (سوزان) وهى سيدة فرنسية وكانت أقربهن إلى قلب مدام هدى ... فكانت ترتاح إلى الحديث والجلوس معها .. ونظرا لتقاربهما فى الأعمار جعلهما تتفقان فى كثير من الأفكار والميول .. وكانت مدام هدى تثق فى صديقتها (سوزان) ثقة كبيرة فكانت تروى لها مشاكلها ومتاعبها فى العمل أو فى المنزل مع أسرتها .. ولذلك كانت (سوزان) تعرف عنها كل شئ وعن ظروفها فى المنزل وما حدث لزوجها الأستاذ (شفيق) الذى أصبح شبه عاجز يتحرك بصعوبة ويتنقل مستنداً على عصاة ولذلك أصبح مقره الدائم

البيت ويحتاج دائماً إلى مساعدة .. ولهذه الأسباب كانت سوزان الكندية تقدر ظروفها ومشاعرها .. وترفق عليها كثيراً .. وقد تعمقت الصداقة بينهما كثيرا وأصبحتا تلتقيان كثيراً وتذهبان معاً إلى المحلات لشراء ما يلزمهما. . ودائمتا الاتصال والحديث تليفونيا.. ولقد ساعد قرب سكنهما فى نفس الحى على تعمق صداقتهما وسهولة لقاءتهما وتبادلها الزيارات.. وقد اعتادتا على أن تخرجان بعد إنتهاء العمل معاً .. وتستقلان نفس الأتوبيس وتتحدثان وتتسامران فى الطريق أثناء عودة كل منهما إلى منزلها ..

وفى أحد الأيام وبعد إنتهاء العمل وخروج العمال فى مجموعات ليستقلوا الأسانسير للنزول والعودة إلى المنزل تصادف أن ألتقى مارك بمدام هدى وسوزان وهما تتحدثان في الأسانسير فحياهما مارك بابتسامة لطيفة وخاطبهما قائلاً : مدام هدى وسوزان يمكننى توصيلكما اليوم بسيارتى بدلاً من الأتوبيس .. فاليوم شديد البرودة ..

فأسرعت مدام هدى قائلة وقد أحمر وجهها من الخجل :
لا .. لا متشكره .. أنا مضطرة أخذ الأتوبيس اليوم .. ولم تنطق سوزان .. فكان واضح ضمن كلام مارك ونظراته كلها مركزه على مدام هدى ويبدو واضحاً على وجهه إعجابه وحبه لها .. وبعد أن غادروا الأسانسير وساروا معاً بالشارع إلى محطة الأتوبيس .. نظرت سوزان إلى مدام هدى قائلة بصورة عتاب : لماذا لم تقبلى عرض (مارك) لتوصيلنا بسيارته ؟ أننى لاحظت أنك تصديه دائماً .. مع العلم إن مارك إنسان ممتاز وذوق وأى امرأة فى المصنع تتمنى أن يحدثها ويتقرب إليها .. أحنت مدام هدى رأسها خجلاً قائلة : لا أدرى لماذا أصده دائماً.. فأننى أشعر بشئ من الخجل والخوف حينما يقترب منى ويحدثنى. فابتسمت سوزان قائلة ياصديقتى أنا امرأة مثلك أفهم من مدة كبيرة وأنت معجبة بمارك وتبادليه نفس مشاعر الأعجاب والحب. وهذا سر خجلك وارتباكك، حينما يتحدث إليكِ أو يقترب منكِ . ازداد أحمرار وجه مدام هدى وخجلها وأحنت رأسها ، وأكملت سوزان قائلة:

لماذا تصديه وتتهربى منه .. يجب أن تتقربى إليه فأنت محظوظة بإهتمام رجل مثل (مارك) بكِ .. وأننى لن ألومك.. ولا يستطيع أحد اعتراضك فزوجك مريض وشبه عاجز.. وأنت امرأة فى الخامسة والأربعين من العمر وعلى درجة من الجمال والجاذبية .. وأكملت سوزان قائلة: وأنت امرأة لكِ مشاعرك وأحاسيسك ولكِ مطالبك واحتياجاتك كامرأة ...

نظرت مدام هدى إليها وبصوت منخفض قائلة : لاتنسى أننى أصبحت جدة .. ابنتى كل منهما لديها أطفال.. ولا أستطيع أتحدث وأتعرف إلى رجل .. ربما أجرح مشاعر أولادى ومشاعر زوجى .. فصاحت سوزان قائلة : ولماذا معرفتك برجل فى مثل هذه الظروف تجرح الشعور .. وضحكت عالياً قائلة : أنتم الشرقيون لكم منطق غريب.. تعقدون الأمور وتضعون أنفسكم فى معاناة وصراعات لا مبررلها .. فالحياة جميلة وبسيطة ولابد أن نعيشها فنحن آدميين لنا مطالب .. وأنت امرأة عاملة وفى

منتصف العمر ومن حقك أن تعيشى حياتك .. وأن تكون سعيدة فهذا لا يضر بأحد ولا يؤذى أحد وقد وصل الأتوبيس .. وصعدنا وجلسنا متجاورتين تكملا الحديث..
وبدأت سوزان تروى لها بعض من حياتها الخاصة قائلة : أننى رويت لكِ سابقاً أننى انفصلت عن زوجى بعد اشتداد الخلافات والمشاكل بيننا .. ثم تعرفت على رجل يكبرنى بعشرة أعوام ولكننى أشعر معه بكل سعادة وحب.

وبدأت سوزان تحدثها عن بعض زميلاتها فى العمل سيدات فى الخمسينات والستينات وبعد أن انفصلت الواحدة منهم أو طلقت من زوجها تعيش مع رجل آخر .. فهذه أمور طبيعية أن يكون للمرأة رجل وأن يكون للرجل امرأة .. وليس دائما الهدف هو الغريزة الجنسية أو غريزة المرأة .. وأنما فى كثير من الأحيان يكون الهدف هو الائتناس والصداقة .. والشعور بالاكتمال ..

فأكملت سوزان قائلة: فلماذا نقسو على أنفسنا ونعيش حياتنا فى يأس ومعاناة والحياة أمامنا مشرقة جميلة ..

وكانت مدام هدى تنصت لصديقتها بإهتمام وهى

مشدودة مأخوذة بأحاديث وكلمات صديقتها وعادت مدام هدى إلى المنزل وهى شاردة وسارحة فى أفكارها وخيالاتها وتدوى فى أذنيها كلمات صديقتها سوزان .. وجلست تفكر وتتذكر صورة المرأة الشرقية فى معاناتها .. فى أحزانها والتقاليد التى وضعتها فى موضع المخلوق الضعيف التابع والمنساق دائماً ..

وبدأت تحدث نفسها قائلة : ما ذنب المرأة التى فقدت زوجها برحيلة وموته وهذا أمر الله ولا دخل فى مشيئة الله أن تظل نصف عمرها أو مايزيد حبيسة أحزانها سجينة تقاليد وعادات .. فهل يراعى المجتمع مشاعرها وأحاسيسها كامرأة وهزت مدام هدى رأسها فى ألم وأكملت محدثة نفسها قائلة : فمثل هذه المرأة الأرملة التعيسة يضع المجتمع دائما تصرفاتها وحياتها تحت المراقبة .. وينظرون إلى هفواتها وأخطائها بالمنظار المكبر ... واستمرت مدام هدى سارحة فى أفكارها ومحدثة نفسها قائلة : وماذنب المرأة التى هجرها زوجها بالطلاق

أو الانفصال أو بأى صورة أخرى أن تظل طريدة العادات والتقاليد .. ينظر إليها المجتمع دائماً قاسياً وكأن المرأة دائماً هى المذنبة وهى المخطئة فى حق زوجها وفى حق المجتمع وهى سبب خراب البيت وسبب تحطيم الأسرة .. ويكفى أن يقال أنها طالقة فهذا يعنى الكثير .. وتظل المرأة طريدة مذنبة بحكم العادات آثمة بحكم التقاليد .. وقد حكم عليها أن تتقاذفها الألسن والنظرات الجارحة فى كل مكان .. ونهضت مدام هدى من مقعدها وقد بدأ على وجهها التأثر والآسى .. وفى عينيها شئ من التمرد والكراهية والثورة على تلك العادات والتقاليد ...

مرت الأيام ومازالت مدام هدى شادرة مشغولة بأفكارها ... وكأنها تعيش فى شئ من الصراع بين العادات والتقاليد الشرقية وبين المفاهيم والأفكار الغربية .. وجدت نفسها تفكر فى مارك زميلها بالمصنع .. فى أحاديثه القصيرة معها .. فى نظراته التى تعبر عن حبه وهيامه .. وبدأت تنشغل بالتفكير فيه .. وتنتظر أثناء

العمل مروره حتى تراه .. وتتلهف إلى حديثة معها حتى لو لم يزيد عن تحية الصباح ..

وفى نفس الوقت كانت تخشى أن يلاحظ أهتمامها أو يكتشف حقيقة مشاعرها أحد .. ولكن امرأة مثل صديقتها سوزان فهمت ذلك بحكم ذكائها وخبرتها كامرأة وأدركت حقيقة مشاعرها نحو مارك من الحب والهيام ولكنها لم تعلق أو تفاتحها فى أى شئ . وفى أحد الأيام بينما جلست سوزان مع مدام هدى فى فترة الغذاء وقد أنتهيا من تناول الغذاء وجلستا تتحدثتا ومر (مارك) بجوارهما فحياهما كعادته وسألهما بلطف قائلاً: هل ترغبان فى بعض القهوة فأنا ذاهب إلى الكافيتريا لأحضارها .. فصمتت مدام هدى ونظرت سوزان إليها ففهمت أنها لا تمانع .. فأجابته سوزان قائلة لا مانع (مسيو مارك) أنا عايزه قهوة بدون سكر مع الحليب .. ونظر مارك إلى مدام هدى قائلاً : وأنتِ مدام هدى .. فأجابته بإبتسامه رقيقة : قهوة مع معلقتين سكر وحليب لو سمحت . فأجاب قائلاً: وهو كذلك ..

أسرع مارك إلى الكافيتريا وأحضر القهوة وعاد إلى حيث تجلس سوزان ومدام هدى .. ووضع القهوة على الترابيزة المجاورة .. فأشارت إليه سوزان بالجلوس معها على الكرسى المجاور وبدأوا الثلاثة يتحدثون معاً وهم يشربون القهوة عن العمل والأجور وأرتفاع الأسعار.. وقد بدأ السرور والانسجام فى الجلسة واضحاً... وقد اقترح مارك قبل انصرافه لانتهاء فترة الغذاء على مدام هدى وسوزان أنه يدعوهما للغذاء غداً فى المطعم القريب والمقابل لمبنى المصنع ...

صمتت مدام هدى ولم تنطق وأحنت رأسها فنظرت إليها سوزان بمعنى لا مانع .. وأجابت سوزان قائلة : لا مانع .. وهزت مدام هدى رأسها بمعنى وهو كذلك .. وأتجه كل منهم عائداً إلى مكان عمله ..

ازداد انشغال مدام هدى وتفكيرها نحو مارك زميلاً ووجدت نفسها مندفعة نحوه بكل مشاعرها وأحاسيسها..

فصورته لم تفارق خيالها وكلماته ترن في أذنيها دائماً ..
وقلبها يخفق حينما تراه أو تسمع صوته .. وأصبحت فى
حيرة وعجب فلم تتوقع أبداً أن تجد نفسها بهذه الصورة
كالمراهقة فى سن السادسة عشر عندما يفتح قلبها للحب
لأول مرة وتصبح ملهوفة بحبيبها ويسيطر الحب على
أفكارها وخيالها .

وكثيراً ما تجلس وحيدة تحدث نفسها قائلة : أننى لم
أشعر بهذا الأحساس من قبل .. فلم أقع أبداً فى الحب ..
ولم يمتلئ قلبى بالحب والهيام بهذه الصورة ... فقد
خطبت وتزوجت من زوجى (شفيق) الذى لم أراه أو
أعرفه قبل الزواج وأنا فى الثامنة عشر وأخذتنى دوامة
الحياة والأولاد والأسرة ومرت الأيام والسنين .. ولكن فى
لحظات كثيرة قبل الزواج وأحيانا بعد الزواج أجلس مع
نفسى أفكر فى الحب ،.. وأتمنى لو أننى أحب وأمر بهذه
التجربة وكنت أتخيل نفسى وأحلم وأنا بين ذراعى رجل
فارس أحلامى الذى يختطف قلبى ويطير بى متخطيا كل

الحواجز والموانع ويجعلنى هائمة ملهوفة فى حبه ...

ولقد كان ذلك مجرد أحلام يقظة وخيالات فى أيام الصبا والشباب .. ولم يخطر ببالى ولو لحظة واحدة أن أقع فى الحب وفى هذه السن وأشعر بالسعادة وانشغال الفكر بمن أحب .. كالفتاة الصغيرة المراهقة التى أنفتح قلبها للحب لأول مرة ..

كانت مدام هدى فى شبه صراع بين مسئوليتها نحو أسرتها والتزاماتها نحو زوجها المريض وأبنائها وبين أحاسيس السعادة والحب الذى تفجر كالسيل الجارف بقلبها نحو زميلها مارك .. ولذلك ظلت مدام هدى ساعات من الليل مشغولة بلقائها غداً بمارك تلبيه لدعوته عل الغذاء بالمطعم ..فهذه المرة الأولى التى تجلس معه خارج المصنع.. وبالرغم من مخاوفها وقلقها وأحساسها بشئ من التهور والاندفاع لقبولها دعوته على الغذاء ولكنها كانت تشعر بالسعادة والهيام واللهفة للقائه وسماع كلماته وحديثه.. ولتتبين مدى تعلقه بها وتتأكد من حبه لها ...

وفى الصباح عندما بدأت ترتدى ملابسها إستعداداً للتوجه للعمل... وجد ت نفسها تدقق كثيراً فى اختيار ملابسها.. وتهتم بتصفيف شعرها.. وتضع مكياجها بعناية كبيرة.. وقد بدت أكثر جمالاً وجاذبية.. توجهت إلى عملها وانهمكت فى عملها كالمعتاد.. وفى موعد الغذاء بدأ العمال يتوجهون إلى حيث يتناولون طعام الغذاء.. فالبعض يذهبون إلى صالة الأكل ..والبعض إلى الكافيتيرا..والبعض يتوجه إلى المطاعم القريبة والمنتشرة فى المنطقة القريبة من المصنع.. حضر مارك من قسم الصيانه واصطحب مدام هدى وصديقتها سوزان إلى المطعم الكبير المجاور لمبنى المصنع وجلسوا الثلاثة حول ترابيزة فى أحد الأركان الهادئة.. وهم يتحدثون ويتناقشون عن نظام العمل فى المصنع وعن تشدد بعض المسؤلين وعن الأحوال الاقتصادية حتى أحضر السفرجى لهم أطباق الطعام التى اختاروها من قائمة الطعام ورتبها أمامهم على المائدة، وبدأوا الثلاثة فى تناول الطعام .. وتخلل ذلك بعض الأحاديث والتعليقات الظريفة من

مارك الذى بدأ سعيداً مسروراً ليس كعادته .. ولم تمضِ خمسة عشر دقيقة كانت سوزان قد انتهت من طعامها ونهضت مستأذنة بحجة اضطرارها للذهاب إلى البنك .. وكانت حقيقة انصرافها لتعطي لهما فرصة للحديث بحرية وانطلاق أكثر وغمزت بعينها لمدام هدى بمعنى (خذى راحتك) .. فأحمر وجهها وبدأ عليها شئ من الخجل .. ولكن مارك نظر إليها بحنان وبإبتسامة رقيقة واستطرد قائلاً : مدام هدى أنا مسرور جداً بهذه الفرصة والحقيقة منذ اليوم الأول لاستسلامك العمل وعند مشاهدتى لكى أحسست بمشاعر فياضة نحوك .. وشعرت أنكِ تختلفى كثيراً عن كل من شاهدت وعرفت .. أحسست بجمالك وجاذبيتك أحساساً آخر .. وكل يوم أشعر أنكِ تزدادين رقة وأنوثة فى عينى .. ومن اللحظة الأولى بدأ قلبى يخفق لكِ بالحب ولم اعرف عنك أى شئ فى ذلك الوقت سوى اسمك فقط .. ومع مرور الأيام وقد علمت من بعض الزميلات أنكِ تعيشى فى ماساة لمرض زوجك وبقائه كشبه عاجز .. ولقد تأثرت كثيراً من أجلك

وكثيراً ما فكرت فى ظروفك وأحوالك .. وبدأت أحس بمعاناتك .. ووجدت نفسى أكثر أهتماما وتعلقا بك..

كانت تستمع له مدام هدى باهتمام وتنظر بإمعان فى عينيه ووجهه وهى صامته بأخوذه وكأنها لم ترِ رجلاً طوال حياتها ..

أكمل (مارك) حديثه عن حياته الشخصية قائلاً: لقد انفصلت عن زوجتى منذ ثلاثة عشر عاماً بسبب أدمانها بالخمر .. ولم تستطع أن تكف عن الشرب وأصبحت دائمة الشجار والمشاكل وحاولت مساعدتها وإبعادها عن الخمور ولكننى لم أستطع ففكرت فى الانفصال عنها .. وسألته مدام هدى قائلة : هل لديك أبناء منها ؟ فأجابها : ابن واحد يدعى (أيريك) فى السابعة والعشرين من العمر متزوج ومستقر فى حياته الزوجية .. واستمر يحدثها عن نفسه وعن حياته وذكرياته حتى حان موعد العودة إلى العمل .. فانصرف الاثنان واتجها عائدان إلى المصنع ليكملا عملهما اليومى ...

جلست مدام هدى تكمل عملها على ماكينة الخياطة ولكن فكرها سرح بعيداً تفكر فى أحاديث مارك وكلماته التى أوضحت لها حقيقة حبه وتعلقه بها .. وتأكدت بلقائه من صدق مشاعره وأنه يبادلها نفس اللهفة والحب الكبير الذى شاءت الظروف أن يربط بين قلبيهما .. وقد بدت أمام ماكينة الخياطة تائهة شاردة تعمل بدون تركيز لدرجة أن إحدى الشرفات المسئولات عن القسم لاحظت بعض أخطاء فى العمل نتيجة لعدم تركيزها فذهبت إليها ونبهتها فاعتذرت وبدأت تحاول بكل جهدها التركيز وإتقان العمل ..

وبعد إنتهاء العمل اليومى وانصراف العمل والموظفين .. خرجت مدام هدى عائدة بصبحة صديقتها سوزان كالمعتاد وفى الطريق إلى محطة الأتوبيس أوقف مارك سيارته بجوارهما وأشار إليهما بالصعود إلى السيارة .. وقفت مدام هدي لحظة صامتة ومترددة ثم تقدمت وصعدت إلى السيارة وهى مأخوذة فى دهشة وسعادة ..

وصعدت معها سوزان وهى تشكره على ذوقه قائلة : اشكرك يا مسيو مارك لقد أنقذتنا من البرد فاليوم شديد البرودة .. والوقوف أمام محطة الأتوبيس شئ مؤلم .. فعلق مارك قائلاً: يسعدنى جداً توصيلكما فأنامقدر البرودة والثلوج بالإضافة إلى الوقت الطويل حتى تصلا إلى المنزل ...

وأستمروا يتحدثون عن المواصلات العامة وسوء الأحوال الجوية وعن العمل وزملائهم فى المصنع حتى وصلتا إلى قرب سكنهما وحياهما مارك واتجه عائداً إلى منزله.

عادت مدام هدى إلى منزلها وغيرت ملابسها وأعدت طعام العشاء وهى صامته شاردة مشغولة بأفكارها وتناولت طعامها وهى مازالت سارحة فى خيالاتها وأحلامها.

وجلست مدام هدى مسترخية فى الصالون . بمفردها وبيدها فنجان من الشاى وأخذت تفكر وتحدث نفسها

قائلة: حقيقى أن للحب سلطان على الصغير والكبير .. فالحب قوة هائلة .. مشاعر فياضة .. ينبوع عذب يعيد الشباب والحيوية إلى القلوب الظمأنه .. وصمتت وهزت رأسها طويلاً : فلقد أدركت مدام هدى أنها أحبت زميلها مارك حباً كبيراً .. ولكن ما يقلقها ويجعلها فى دوامة من الفكر والانشغال هو موقف أسرتها ومسئوليتها أتجاه زوجها المريض وأولادها .. ولكنها كانت دائما تفكر فى أحاديث زميلاتها الكنديات وخاصة صديقتها سوزان التى أقنعتها دائماً بأنها أمور طبيعية ..

فالمرأة الغربية تعتقد أنه من الطبيعى والمفروض أن تعيش المرأة دائماً مع رجل تحبة .. والرجل أيضا فى أى عمر وفى أى سن يحتاج دائماً إلى امرأة .. فالإنسان بشر يلزمه ممارسة حقه الطبيعي بانتظام حتى يظل جسمانيا ونفسياً فى شكل وفورمه طبيعية .. إلا إذا كان هناك هدف دينى أو حافز روحى يجعل الإنسان بإرادته وبتفوقه الروحى أن يشكل حياته بصورة طبيعية كما

يرغب .

وكانت حياة زميلاتها الكنديات الخاصة وفلسفاتهن تحرك مشاعرها وأحاسيسها وتجعلها تندفع فى تجربتها فى الحب باعتبار ذلك حق طبيعى وأمور عادية ..

ولذلك تكرر لقاء مدام هدى لزميلها (مارك) فى فترة الغذاء فى أحد المطاعم المجاورة .. وكانت تجد سعادة كبيرة فى ذلك وتنتظر حضوره وخروجهما معا بلهفة واشتياق .. وتسعد كثيراً بجلسته وأحاديثه .

كما أنها اعتادت أن يصطحبها هى وصديقتها سوزان لتوصيلهما إلى منازلهما بسيارته بعد انتهاء العمل.وفى أحد الأيام لم تحضر سوزان وتغيبت عن العمل لبعض الظروف .. وفى نهاية العمل اصطحب (مارك) مدام هدى بمفردها بسيارته لتوصيلها إلى منزلها كالمعتاد.. وفى الطريق أخذ يحدثها عن حبه وهيامه بها.. وأخذ يصف لها مدى فكره وانشغاله بها ثم ركن مارك سيارته فى أحد الأماكن الهادئة وأبطل السيارة واستمر

يحدثها عن الحب والسعادة ثم اقترب منها وهى تجلس بالكرسى المجاور له وأمسك يدها بحنان وجذبها إلى صدره وأخذ يقبلها بكل اشتياق فى فمها ووجهها وهى مستسلمة تماماً ولم تنطق بكلمة واحدة وكأنها قد ارتوت من خمرة الحب .. وتكررت القبلات وازدادت حرارتها ومدتها.. ثم قاد سيارته وأتجه إلى شقته ..

ركن سيارته وأشار إليها أن ترافقه .. ولكنها ترددت قليلاً ونظرت إليه قائلة : لا بعدين أتأخر عن ميعاد رجوعى .. فنظر إليها مطمئنا ومبتسما قائلا : مش هنتأخر وأمسك يدها .. فنزلت من السيارة وسارت معه إلى شقته لتكمل تجربتها فى الحب معه ولينهلا فى كأس الغرام كما يشتهيان .

وعادت إلى منزلها وهى لا تصدق ما فعلت وما حدث .. وبدت حائرة هل هى وصلت إلى نهاية الطريق أم هى بدأت فى طريق جديد آخر .. وقد أخذتها التجربة بعيداً واندفعت فى تيار الحب والغرام .. واستسلمت فى

أحضان حبيبها (مارك) .. وبدأت تتأخر عن ميعاد العودة إلى المنزل .. وتخرج دائما لتلتقى به مختلقة حجج وأعذار .. وأصبحت لا تبالى بزوجها أو بأى أحد من الأسرة ... ولا تطيق البقاء بالمنزل ..ولا ترغب فى الحديث مع أحد من الأسرة ..، فقد تبدل سلوكها وتغيرت أحوالها ومظهرها .. فقد كانت دائما مشغوله بحبها . وملهوفة بلقاء حبيبها ..

وأصبح الحبيبان متلازمين دائما .. لا يفترقان فى العمل أو خارج العمل .. فقد كبر الحب وتعمق وأصبح اللقاء تعود واحتياج تدفعه رغبة جياشة وأحاسيس متدفقه ويبدو وكأنها وضعت قدمها وخطت فى طريق وعالم جديد ... وبدأت ترسم وتخطط وتفكر كثيراً لتمهد لهذا الطريق .. ولذلك أتصلت بابنتها الكبرى (ليلى) أثناء العمل تليفونياً وأخبرتها أنها تريد مناقشتها فى موضوع هام هي وأختها (سلوى) ..

وبعد العمل وفى الساعة السادسة توجهت إلى منزل ابنتها الكبرى (ليلى) فوجدت ابنتيها تنتظرانها وبعد أن

جلست معهما فى الصالون وبعد دردشة قصيرة استطردت قائلة : أنا مضطرة أعرفكم أننى قررت أن أنقل والدكم إلى أحد مراكز العجزة والمسنين فهذا أفضل له كثيراً .. وأنا مستعده بتحمل كل المصروفات ...

أصيبت ابنتها بالذهول لسماع هذا الخبر وبدت عليها الدهشة والحيرة .. ونظرنا إليها فى قلق وقاطعتها ليلى قائلة : أيه الكلام اللى أنت بتقوليه ياماما ؟ ولماذا قررت وضعه فى مركز العجزة ؟ وكيف تفكرى بهذه الطريقة ؟ .. وأكملت قائلة : لا .. لا .. لا يمكن بابا يترمى بهذه الطريقة بعد أن ضيع عمره وشبابه من أجلنا . ..

فعلقت الأم (مدام هدى) بصوت عالى وموجه الكلام إلى ابنتها (ليلى) قائلة : أنتِ لازم تعرفى أنه سيجد عناية طبية كاملة بالإضافة إلى أن المركز يقوم بتنظيم أوقاتهم وحياتهم بتقديم برامج ترفيهيه وكل وسائل التسليه.. .

وتحدثت سلوى قائلة : لا .. لا ياماما .. مش ممكن نرميه بهذه الطريقة فربما بابا يعتقد أننا رميناه وتخلصنا

منه وهذا سوف يؤلمه نفسياً ومعنوياً ... وقاطعتها ليلى قائلة : ماما أنسى هذا الموضوع وهذا القرار .. وأتركيه فى البيت وأنا وسلوى سنهتم به .. وأنت ساعديه بقدر الأمكان .. فعلقت مدام هدى بعصبيه وصوت عالى قائلة : أنا أهتميت به وساعدته وعملت اللى عليه.. فقاطعتها (ليلى) بعصبية قائلة : أنا نفسى أفهم لماذا أصبحت أفكارك وتصرفاتك غريبة ؟ أنتِ أكيد جرى لكى حاجة .. مش ممكن تكونى طبيعية .. فيه ست مصرية تفكر بالطريقة دى لزوجها الذى ضيع كل حياته وبذل ما فى وسعه دائما من أجل راحتها وإسعادها .. واكملت قائلة : هل نسيتى بابا وتضحيته من أجلك وحبه لكى دائما ؟ هل نسيتى ما فعل من أجلنا فى مصر ؟ وهل تنكرى أن الحادثة التى سببت له هذا العجز كانت لخروجه إلى العمل مبكراً من أجلك .. فى البرد والصقيع وتحت الثلوج..

فنهضت الأم من مقعدها صائحة:خلاص .. خلاص مش عايزه اسمع ولا حاجة .. أنا قررت وحجزت له مكان بمركز (الأمل للعجزة والمسنين) وهذا هو العنوان

والمكان .. وأخرجت ورقة بها كل المعلومات عن الحجز وعن المركز وتركتها على الترابيزة .. وأكملت قائلة : أما بالنسبه (لرؤوف) فهو بدأ الدراسة بالجامعة وبيشتغل فى عمل مؤقت ولو أحتاج لأى شئ أنا مستعده مساعدته .

فازدادت دهشة ليلى وسلوى وبدأا فى حيرة وسألتها سلوى قائلة : طيب وأنت ياماما أين ستذهبين ؟ نحب نعرف ماذا ستفعلين ؟

فأجابت الأم قائلة : أنا ساعيش حياتى كما أريد .. أنا ست عاملة.. ومن حقى أحيا كغيرى .. ولا أحب دفن نفسي وأنا على قيد الحياة .. فأنا امرأة ولى مشاعرى وأحاسيسى.. ولا داعى لأفكاركم الرجعية المتخلفة.. وصاحت ليلى فى استغراب وسخرية قائلة: أفكارنا أصبحت رجعية ومتخلفه.. أنا بدأت أفهم سبب هذه القرارات وسر كل تصرفاتك الغريبة ..طبعاً واضح جداً إن هناك تغيير كبير فى حياتك، وخاصة فى البيت مع بابا ورؤوف.. وتتأخرى عن مواعيدك ساعات طويلة..

وتخرجى فى أى وقت بحجج وأعذار..وأصبحت تصرفات كل أفراد العائلة لا تعجبك.. وغير مقتنعه بأى أحد .. بالإضافة إلى تغيير كبير فى مظهرك ولبسك . وكل شئ وصاحب العقل يفكر..

صاحت الأم قائلة : اخرسى يا بنت لازم تعرفى أننى وأختك ... أننى ست وحياتى ملكى وكل ما أفعله من حقى ،مثلى مثل أى امرأة فى مونتريال ..

وأسرعت خارجة من المنزل إلى الشارع .. وأتجهت بخطوات سريعة إلى سيارة مارك حيث كان ينتظرها بالقرب من المنزل .. وفى نفس الوقت أطلت ليلى من نافذة الصالون فرأت أمها وهى تركب السيارة فصاحت على أختها سلوى قائلة : سلوى .. سلوى .. أنظرى .. أنظرى .. وأطلت سلوى من النافذه وشاهدت أمها فى سيارة (مارك) وفى المقعد المجاور له فنظرت سلوى إلى أختها ليلى وهزت رأسها بمعنى أن كل شئ أصبح واضحا الآن . وبدأ الحزن والأسى على وجه كل منهما

وخاصة ليل الابنه الكبرى فقد كانت فى قمة التأثر والأسى وصاحت قائلة : ياإلهى .. يا إلهى .. لقد وضحت الصورة ..وظهر السبب الذى باعت من أجله كل شئ.. فلقد جرفها تيار التحرر .. وأسكرتها أفكار المدنية الغربية .

السعادة المفقودة

توجهت مع بعض الأصدقاء المصريين فى صباح أحد أيام السبت وهو يوم العطلة الأسبوعية من العمل إلى مركز للمحلات التجارية لشراء بعض الملابس واللوازم الآخرى .. فقد أعلنت معظم المحلات التجارية عن تخفيضات هائلة قد تصل إلى (٤٠٪ - ٥٠٪) ففى المعتاد وفى مثل هذا الوقت من السنة ،ذلك قرب إنتهاء موسم الصيف والدخول إلى فصل الخريف .. يبدأ موسم التخفيضات أو الأوكازيونات .. وتتسابق المحلات الكبرى والصغرى فى عمل التخفيضات والدعاية لجذب الزبائن..

فتوزع المجلات الخاصة بالاعلانات عن التخفيضات والأوكازيدونات على المنازل .. وتعلن بعض الشركات نماذج من معروضاتها بالتليفزيون أو عن طريق

الأذاعة.. وتشتعل المنافسه التجارية فى ذلك الوقت لجذب العدد الأكبر من الزبائن لتحقيق نصيب أكبر من الفائدة والأرباح...

وصلنا إلى المحلات وبدأنا المرور، نفتش ونقارن بين المنتجات وموديلاتها وجودتها. ونقارن بين أسعارها وكنا نتبادل الآراء ونتناقش فيما بيننا بطريقتنا المصرية المرحة التى لا تخلو من نكته أو تعليق ظريف ..

وأثناء مرورنا فى أحد المحلات وفى قسم الملابس الجاهزة جذب انتباهى سيدة تعمل بالمحل تقوم بإعادة تطبيق الملابس ورصها وتنظيمها بعد مرور الزبائن ونقلها من أماكنها للفرجة عليها وفحصها ...

وكانت، السيدة تجيب على أسئلة الزبائن واستفسارتهم وإرشادهم إلى أماكن المعروضات وكانت تبدو فى الأربعينات من العمر ويظهر من ملامحها وقوامها ولهجتها فى اللغة الانجليزية أنها مصرية .. وأشرت إلى

أحد الأصدقاء يسير بجانبى قائلاً: اعتقد أنها مصرية ..
فأكمل صديقى قائلاً: يبدو من ملامحها أنها مصرية ..
ولكن لماذا يبدو على وجهها شئ من الآسى والحزن هكذا...

وكنا قد اقتربنا منها .. فنظرت إليها قائلاً: صباح الخير (بلغتنا العربية) .. فرفعت رأسها وأجابت بإبتسامه بسيطة : صباح النور .. ياأهلاً .. يا أهلاً .. وقدمت نفسها قائلة : مدام (ميرڤت) ... وتعارفنا ورحبنا بمعرفتها ... وبدأنا الحديث معها عن الملابس والأسعار والموضه .. وتطرق الحديث عن حياة المهاجرين .. وعن الأخبار فى مصر . ثم سألتها قائلاً: حضرتك من زمان فى كندا .. هزت رأسها فى شئ من التحصر قائلة : حوالى سنتين ولكن صدقنى كأنها خمسة عشر سنة .. فصحت قائلاً: يا ساتر للدرجة دى .. فهزت رأسها وصمتت .. فأدركت مدى ما تعانية. .. فقلت لها مواسيا : مافيس حاجة سهلة .. كل شئ صعب فى البداية ...

ولكنها صمتت ولم تعلق ونظرت إلى الأرض .. وسرحت بفكرها بعيداً وفكرت أن استأذن وانصرف حتى لا أشغلها بالحديث وأضيع وقتها .. فربما يسبب لها ذلك بعض المتاعب من رؤسائها أو المسئولين عن المحل .. ولكن قبل أن انصرف سألتنى قائلة : هل تعرف حضرتك أحد من معارفك أو أصدقاءك المصريين يفكر فى شراء شقة تمليك .. وأكملت قائلة : أنا عارضه شقتى للبيع ..ومضطرة لبيعها فى أقرب وقت لأنها تكلفنى أكثر من طاقتى وزوجى بدون عمل ومرتبى غير كافى وعندى التزامات أخرى .. والشقة ممتازة فى منطقة (سان لوران) مونتريال – ودى منطقة ممتازة ... فأجبتها قائلاً: حقيقى منطقة ممتازة .. وعلى كل حال سأعرض الفكرة على بعض الأصدقاء .. وقد تكون الشقة من نصيب أحدهم تتفقوا معه على البيع .. وأكملت قائلاً : اعطينى التليفون والعنوان وإذا كان هناك أحد يرغب فى شرائها سأتصل بك تليفونياً .

اعطتنى مدام (ميرفت) نمرة التليفون والعنوان

قائلة: أشكرك على ذوقك واستعدادك للمساعدة .. فأجبتها قائلاً: أننا مصريين أخوة ويجب أن نساعد بعضنا البعض وخاصة هنا فى الغربة وانصرفت مع زملائى نكمل المرور لمشاهدة بقية الأقسام ومعروضاتها مرت عدة أيام وحينما قابلت صديقى (وديع) وهو من أبناء الأسكندرية ويعد ويجهز استعداداً للزواج من ابنة خالته التى احتفلنا بخطوبتهما فى العام الماض تذكرت مدام ميرفت ورغبتها فى بيع شقتها التمليك ..

سألت (وديع) قائلاً : هل وجدت أنت وخطيبتك الشقة أو أتفقتم على مكان معين للسكن بعد الزفاف ..

فأجاب وديع الحقيقة لم نتفق حتى الآن على مكان للسكن وسنبحث فيما بعد عن شقة مناسبة ..

وأكمل قائلاً : وكما أنت تعرف الشقق للإيجار كثيرة، وليس هناك مشكلة فى إيجاد شقة ..

فقاطعته قائلاً: أنا أعرف شقة تمليك.. تعرضها سيدة مصرية للبيع .. والشقة فى أحسن مناطق مونتريال .

صمت وديع لحظة ثم استطرد قائلاً: ربما كانت غالية .. وتكلفنى أكثر من طاقتى .. وأكمل قائلاً : ممكن نذهب معاً لمعاينتها .. ومناقشة السيدة فى تكاليفها ثم أعمل ميزانيتى .. فأجبته مشجعاً : وهو كذلك .. سأتصل بها ..

أمسكت التليفون وأخبرتها بأن أحد أصدقائى يستعد للزواج ومحتاج شقة ويرغب فى مشاهدت الشقة ..

فأجابت قائلة : بكل ترحاب .. يتفضل يحضر لمعاينتها .. وإذا لم يكن هناك مانع غداً فى المساء الساعة السادسة ...

فأجبتها قائلاً : وهو كذلك .. شكراً

وفى الميعاد المحدد اصطحبت صديقى وديع وتوجهنا معاً إلى شقة (مدام ميرفت) وكانت الشقة تقع فى منطقة جميلة هادئة..والمبنى حديث رائع ...استقبلتنا مدام ميرفت وزوجها بالترحاب وبعد التعارف وحديث قصير.. قادنا زوجها للمرور ومعاينة الشقة ...

ولقد ذهلت عند مروري بأجزاء الشقة فكانت مليئة بالتبلوهات الجميلة والأنتيكات والتماثيل الفنية – بالإضافة إلى نجف الكريستال الرائع في كل مكان .. والسجاجيد العجمي الباهظة الثمن في الطرقات والصالون وبعض الحجرات .. بالإضافة إلى الموبيليا الفخمة التي تدل على الرقي والذوق وأصابتني دهشة كبيرة .. وكان ما يحيرني أنني أعرف أن مدام ميرفت تعمل بائعة في محل تجاري وهذا عمل بسيط وأجرة ضيئل بالنسبة للأجور في كندا وزوجها بدون عمل كما أخبرتني ..

وبدت الدهشة أيضا على وجه صديقي وديع .. فقد كانت الشقة تبدو وكأنها لأحد الأثرياء أو الكبار رجال الأعمال ..

وبعد انتهاء مرورنا ومشاهدتنا جلسنا بالصالون نتحدث مع زوج (مدام ميرفت) وقدمت لنا هي بعض عصير البرتقال فشكرتها وقلت لها : الحقيقة شقة ممتازة يامدام ميرفت.. رائعة في تنظيمتها وخاصة التبلوهات

والتماثيل.. بالاضافة إلى السجاجيد والديكورات تجعل منها تحفه رائعة ...

ابتسمت مدام (ميرفت) قائلة : الحقيقة كل التبلوهات والتماثيل حتى السجاجيد والتحف أحضرتها معى من مصر .. شحنتها بعد مجئ بعد أن بعت الشقة بتاعتى فى مصر الجديدة ..

فنظرت إليها فى دهشة وحيرة ولم أتكلم ولكنها أدركت أن فى نظراتى كثير من التساؤلات فقد آثارت فىّ شئ من حب الاستطلاع ..

فابتسمت قائلة: وهى تتجة إلى المطبخ .. دى حكاية طويلة ..على كل حال زوجى يروى لكم كنا عايشين ازاى فى مصر .. وكيف حضرنا هنا كمهاجرين .. ودخلت إلى المطبخ ..

بدأ زوج مدام ميرفت يروى فى شئ من التأثر عن حياتهم فى القاهرة.. وكيف حضروا إلى كندا.. وما وصلوا

إليـه الآن قائلاً: زوجـتى (مدام مـيرفت) ابنة المقاول المعمارى المشهور (إبراهيم سليمان) ..

كانت مشاريعه وأعماله المعمارية كثيرة وفى كل أحياء مصر الجديدة ومدينة نصر وغيرها من ضواحى القاهرة .. وقد تمكن (إبراهيم سليمان) من تكوين ثروة كبيرة جداً فى خلال أعوام قليلة من أعماله بالمقاولات..

وبعد وفاته تقاسمت زوجتى ابنته (ميرفت) هذه الثروة مع أخيها الوحيد.. الذى استمر فى العمل بالمقاولات والمعمار ولكنه لم يحالفه النجاح مثل والدة ..

وتبعاً لتقسيم الميراث بين (مدام مرفت) وأخيها والأتفاق بينهما أصبحت الفلة الفخمة فى أجمل أحياء مصر الجديدة من نصيب (ميرفت) وانتقلنا للسكن فيها..

والفلة مبنية على مساحة (٥٠٠م٢) تحيط بها حديقة جميلة .. وملحق بها حمام سباحة.. وصمت الرجل لحظة متأثر ثم أكمل قائلاً : والفلة بها كل ما يحلم به ويتمناه طالب الرفاهية والتنعم ..

وعادت مدام ميرفت ومعها البوم صور تذكارية وبدأت تفرجنا على مناظر الڤلة من الخارج بحديقتها الجميلة .. وأعمدتها وشرفاتها الدورانية الرائعة .. وكانت الڤلة مبنية من الصخور الجميلة .. ومناظر الفلة من الداخل توضح كم كانت رائعة بملامحها الداخلية الرخامية والأعمدة الداخلية الرخامية التى تدل على جمالها وروعتها ..

وقامت مدام ميرفت باستثمار نصيبها فى المال فى مشروع تجارى فافتتحت محل أزياء للسيدات (بوتيك للسيدات).. وقد حالفها النجاح وأصبح المحل من أشهر محلات الأزياء بمصر الجديدة..والمحل مشهور بأرقى الأزياء وأحدث الموديلات.. وكان معظم زبائنه من الفنانين والأثرياء وأرقى العائلات.. وكان المحل يدر دخلاً كبيراً وكانت تديره (مدام ميرفت) ويساعدها ثلاثة عاملات...وكنت أنا أساعدها فى كثير من الأحيان بجانب وظيفتى الدائمة بوزارة الشئون الاجتماعية ..

وكانت الحياة تمضى هادئة سعيدة فلقد منحنا الله كل شئ .. وربما أكثر مما نستحق .. ويزيد من سعادتنا ويملأ البيت بهجة وسرور. ابننا نبيل وأخته نجلاء اللذان يدرسان الآن بالمدارس الثانوية بمونتريال...

ومضت الأيام مزدهرة بالسعادة والنجاح..حتى بدأت فكرة الهجرة تنمو وتتطور فى رأس زوجتى ..

عارضت كثيراً مشروع الهجرة فنحن لا ينقصنا أى شئ .. وحاولت كثيراً إقناع ميرفت بالتخلى عن فكرة الهجرة .. ويكفى أن نذهب كل سنة إلى أوربا لقضاء أسبوعين أو ثلاثة كأجازة سنوية ..

ولكننى لا أعرف كيف سيطرت عليها فكرة الهجرة.. وكأن إبليس الخراب تربص بنا وأصبح موضوع الهجرة والسفر إلى كندا شغلها الشاغل ...

وحاول كثيرين من الأصدقاء وبعض منهم سبق أن سافروا إلى كندا ويعرفون كل شئ عن حياة المهاجرين أن يثنوها عن فكرة الهجرة .. وأوضحوا لها أنها تمتلك أكثر

مما يمتلكة أى مهاجر .. وتعيش حياة أفضل بكثير من حياة المهاجرين ولكن لم يستطع أحد أن يؤثر على رغبتها فى الرحيل والهجرة ..

وبالفعل ذهبت إلى السفارة الكندية وأتممت كل الإجراءات اللازمة .. فقاطعته (مدام ميرفت) قائلة : وهى فى غاية من الحزن والتأثر : حقيقى أنها غلطتى وتسرعى الذى كلفنى كل شئ .. فتبددت أموالى .. وضاعت سعادتى ..

فلم أكن أتوقع أبداً أن يصل بنا الحال هكذا وأعمل بائعة فى محل فى مثل هذا السن وبعد أن كنت أمتلك أفخم وأشهر محل بمصر الجديدة .. ولكننى أستحق أكثر من ذلك لعدم قناعتى ..

وأكمل زوجها قائلاً : وماأضخم الكارثه التى جعلتنا نعانى كثيراً الآن ولا نستطيع التفكير فى العودة إلى القاهرة أننا قمنا بتصفية كل شئ .. فباعت مدام ميرفت الشقة ومحل الأزياء والسيارتين وكل ما تمتلك حتى توفر

رصيد فى البنك يساعدنا على عمل الهجرة كضمان مالى..

وبدأ على زوج مدام ميرفت التأثر والأسى وأكمل قائلاً: ولم يبق لنا أى شئ نمتلكه أو حتى شقة للسكن وبذلك قطعنا كل خطوط الرجعة إلى مصر بعد أن فقدت أيضا وظيفتى بوزارة الشئون الاجتماعية باستقالتى وتصفيه معاشى ..

فلم نضع أى احتمال للفشل أو عدم التوفيق .. ووصلنا إلى مونتريال وبدأنا فى الاستقرار وتثبيت أقدامنا من جديد فاشترينا هذه الشقة التمليك ..وقامت زوجتى بعمل مشروع وأفتتحت محل أزياء سيدات (بوتيك) فى وسط البلد (مونتريال) ...

وجهزته بأحدث الديكورات .. ولكن المحل لم يلاقِ النجاح والتوفيق نظراً للمنافسه الكبيرة وخاصة من الشركات الكبيرة التى تعرض بأسعار خيالية .. فبدأ المحل فى الخسائر وكانت كبيرة وباهظة فالإيجار فقط يكلف

(٥٠٠ دولار) شهرياً بالإضافة إلى المصروفات الأخرى .. وتوالت الخسائر واستمر الحال على ذلك مايزيد على السنة والنصف واضطررنا إلى تصفيه المحل وكانت الخسائر كبيرة تزيد على (أربعين ألف دولار) .. وبدأت أحوالنا المالية تضطرب فتكاليف المعيشة باهظة مع تكاليف الدراسة للولد والبنت ومصروفاتهما .. وأنا لم أستطع الاستمرار في عمل نظرا لتدهور حالتى الصحية فمنذ وصولى كندا وأنا أعانى من ضيق فى التنفس وآلام فى الصدر نتيجة للبرودة الشديدة والجو صيفاً وشتاءً مشبع ببخار الماء.. ورغم ترددى على المستشفى والعناية الطبية المستمرة فحالتى الصحية لم تتحسن كثيراً ..

ولذلك اضطرت (ميرفت) للعمل كبائعة وبأجر ضئيل ولكن لا يكفى لسد تكاليف المعيشة واحتياجاتنا.. ولذلك قررنا بيع الشقة واستئجار شقة بسيطة توفيراً لبعض النفقات وبدأ صديقى وديع مناقشتهما بخصوص الشقة من ناحية الثمن وفى بعض النواحى المالية بطريقة

التسديد وكل ما تتعلق بالبيع ...

وفى النهاية وعدهما بأنه سيفكر جيداً ويعمل حساباته ثم يناقش خطيبته فى هذا الموضوع وسوف يرد عليهما تليفونياً ..

ونهضنا مستأذنين للانصراف.. وصافحتهما أنا ووديع شاكرين استقبالهما ومتمنيين لهما كل توفيق.. واتجهنا خارجين..

ركبت السيارة مع صديقى وديع ولكن ذهنى كان مشغولاً بما حدث لمدام ميرفت وزوجها ..

فنظر إلى وديع قائلاً : إنك تبدو شاردا حائراً .. فربما تأثرت كثيرا بظروف مدام ميرفت وزوجها ... فأجبته قائلاً : حقيقى تأثرت فالرجل يبدو مريضاً بائساً .. والمرأة تبدو منكسرة ذليلة .. فأكمل وديع قائلاً : كثير من الناس لا يشعرون بالسعادة إلا بعد أن يفقدونها بغبائهم وحماقتهم..

وعلقت قائلاً : الإنسان مخلوق متمرد.. لا يرضى

أبدا بواقعه.. وهذا من أسباب تعاسته .. وقد يكون الإنسان في قـمـة السـعـادة وكل شئ بين يديه ولكنه لا يشـعـر بالسعادة ولا يكتـفي بماله ويتطلع إلى ما للآخرين .. وإلى مـا مـع الأخـرين .. ويرحل من أجل المزيد والمزيد قـد يكون فـي رحيلة وجـريه ضيـاع كل شـئ لديه لطمـعـه وعدم قناعتـه.. ويعود ليقتله الندم ويترحم على سعادته المفقودة ..ويعلق في كل مكان قائلاً : يا ليتنى ما رحلت.. ياليتنى ما فعلت ..

ضمان شخصي

اضطر أخى نبيل أخيراً لعمل ضمان شخصى لابن خالى فؤاد لمساعدته على إجراءات الهجرة والحضور إلى كندا..

وذلك بعد الحاح والدتى وطلبها المتكرر لمساعدته.. فلم يخلو خطاب من خطاباتها أو اتصال تليفونى من طلبها لعمل ضمان شخصى لابن أخيها فؤاد..

فوالدتى دائماً على علاقات طيبه بأسرتها.. وتعمل كل ما فى وسعها لخدمتهم وتحقيق مطالبهم ولذلك كانت تلح فى طلبها لتحقيق رغبة أخيها وزوجته فى سفر ابنها فؤاد إلى كندا.. وقد سبق لفؤاد وطلب من أخى نبيل مرات كثيرة ومن زمن بعيد وأرسل له خطابات عديدة يرجوه لعمل ضمان لمساعدته على الهجرة إلى كندا..

ولكن أخى نبيل كان دائماً يختلق الأعذار والأسباب للتهرب من مسئولية الضمان فكان يعرف طباع وأخلاق (فؤاد) جيداً.. فقد كانا زميلان فى الدراسة بالإضافة إلى عامل القرابة والارتباطات العائلية والاتصالات الدائمة أتاحة له فرصة لمعرفة كل شىء عن فؤاد..

فكان فؤاد يميل إلى العنف والتهور.. ومعروف بأنه مستهتر ولا يبالى بأى شئ.. وكانت جميع الأسرة تعلم عن مشاغبات فؤاد ومشاكله الكثيرة التى لا تنتهى.. وفى كثير من الأحيان تتطور الأمور بينه وبين والده ووالدته وتضطر والدته للتدخل وتهدئة الموقف..

وكانت هذه المشاكل والمشاغبات سبباً فى عدم استطاعته النجاح فى الثانوية العامة ورسوبه عدة مرات واضطراره فى النهاية لمساعدة والده فى تجارته.. ولذلك كان أخى نبيل يخشى عمل ضمان له خوفاً من طباعه الحادة ومشاكله الكثيرة.. ولكن والدتى فى الأيام الأخيرة أقنعت أخى نبيل بأنه كبر وأصبح انساناً متزناً وعاقلاًولم يعد يسبب أى مشاكل لأى أحد.. فتشجع أخى نبيل تبعاً

لهذه التغيرات ولرغبة والدتى التى كان نبيل لا يرفض لها طلب مهما كله...

وأتم فؤاد أوراق هجرته وحضر إلى مونتريال وأستقبلناه بكل ترحاب كأحد أفراد الأسرة.. الكل شجعه وأبدى استعداده لمساعدته وتمنى له الجميع كل نجاح وتوفيق..

بذل أخي نبيل كل جهده لراحته والعمل على استقراره.. فأوجد له عمل بمصنع للنسيج بمساعدة بعض الأصدقاء.. وأوجد له مكاناً للسكن لا يكلفه كثيراً يبدأ حياته ويشق طريقه كآلاف المصريين المهاجرين..

بدأ فؤاد العمل بمصنع النسيج وهو أحد المصانع الكبيرة والشهيرة بمونتريال وبأجرمناسب ولكن لم يمضِ أسبوعان من استلامه العمل وخلال فترة تدريبه واختبار مقدرته وصلاحيته للعمل طرد من المصنع.

تألم أخي نبيل لذلك.. وباتصاله ببعض المسئولين فى المصنع أخبروه بأنه غير جاد ولا يصلح لهذا العمل..

جلس معه نبيل وبدأ يشرح له طبيعة الحياة والعمل

في كندا كمجتمع غربى رأسمالى يتطلب الجدية فى العمل واحترام نظام ولوائح المصنع والالتزام بالمواعيد.. وعدم التكاسل أو الاستهتار..

وأكمل له نبيل قائلاً: المجتمع الغربى مبنى علي الأخذ والعطاء فبقدر ما تجتهد فى العمل بقدر ما تحصل وتجنى من فوائد.. مجتمع يحارب البطالة المقنعه والتكاسل والتراخى فى العمل ويكره الكسالى والمعوقين لأنهم اداة هدم وليست بناء.. والمجتمع الغربى الرأسمالى يسعى دائما للتقدم والبناء..

واستمر أخى نبيل يشرح ويوضح له ساعات طويلة على أمل أن يدرك هذه الأمور ويحرص على عمله ومستقبله... وفؤاد يهز رأسه موافقاً ومؤيداً وفى النهاية حذره قائلاً: يجب أن تعرف أنهم هنا يهتمون كثيرا بتتبع سير العمل ومراقبة العمال وأى تهاون يقابله الطرد من العمل.. وبدأ نبيل والجميع معه فى البحث له عن عمل آخر لأننا نعرف أن تكاليف المعيشة والسكن باهظة

وتتطلب العمل الدائم..

وتمكن (كمال) وهو أحد أصدقاءنا المصريين من إيجاد عمل له بمصنع للبلاستيك ، واصطحبه (كمال) الى المصنع وقدمه للمسئولين وتوسط لقبوله... وعمل له كل الاجراءات اللازمة لاستلام العمل...

وبدأ المسئولين بالمصنع بتدريبه على عمل بسيط وهو تقطيع الواح البلاستيك بعد تشكيلها بواسطة آلة صغيرة ووضعها فى صناديق كرتون..

انتظم فؤاد فى العمل ولكن انتاجه كان غير دقيق... وبدأ المسئول يشرح له من جديد وينبهه إلى أخطائه ويشجعه قائلاً: هذا العمل بسيط ولا يحتاج إلى مهارة كبيرة فقط يتطلب بعض الاهتمام والتركيز.. وإتباع النظام فى وضع القطع فى الصناديق..

ولكنه لم يبد أى تحسن فلم يهتم أو يلتزم الدقة ولذلك ضاق به المسئول ذرعاً ولم يستطع الابقاء عليه وتركه فى العمل فطرده بعد أربعة أسابيع من استلامه

العمل..

وعاد أخي نبيل إلى نصحه وارشاده وحثه على أن يبذل كل ما في وسعه فى العمل وأن يلتزم الدقة والتركيز أثناء العمل حتى يكون الانتاج بالمواصفات المطلوبة.. وأكمل نبيل قائلاً له: يجب أن تضع فى اعتبارك أن هناك كثيرون بدون عمل ومن يجد فرصة عمل يشكر الله كثيراً ويبذل كل ما فى وسعه لإرضاء المسئولين... ويعمل بجديه وإخلاص لتثبيت أقدامه فى العمل..

وبعد أن يتأكد المسئولين من اجتهاده وصلاحيته للعمل هناك فرصة كبيره لرفع اجره وتحسن دخله...

وعاد نبيل وكل أفراد الأسرة للبحث له عن عمل من جديد فى الجرائد المختلفة.. أو بالسؤال فى المصانع والشركات.. ومع الوقت بدأ يشعر نبيل بالقلق ففرص العمل محدودة وهناك نسبة بطالة كبيرة فى هذه الأيام..

ولكننا جميعاً كنا نبذل كل جهد لايجاد عمل له.. فالكل يقدر ظروف فؤاد باعتباره مهاجر جديد وليست

لديه معرفة كافية بالمدينة والمناطق الصناعية ولذلك ركزنا فى البحث وكلفنا كثيرين من معارفنا وأصدقاءنا للمساعدة فى إيجاد فرصة عمل... وبعد عدة أسابيع أوجد له نبيل عمل فى مصنع للمواد الكيماويه.. اصطحب نبيل ابن خاله فؤاد إلى العمل الجديد وفى الطريق أخذ يحدثه ويشرح له بأن يبدأ العمل بأكثر جديه والتزام... ويؤدى عمله بهمة ونشاط فليس هناك فرص كثيرة للعمل فيجب المحافظة على هذه الفرصة بقدر المستطاع...

استلم العمل وكانت مهمته بسيطه وهى نقل المواد الخام من المخازن إلى المعمل والمساعدة فى تحميل الانتاج على عربات النقل واللوريات المخصصة لذلك.

وكنت أنا وأخى نبيل نتصل به من حين لآخر لنطمئن على أحواله فى المصنع ولنشجعة ونذكره بأن يأخذ الأمور دائماً بأكثر جديه..

مرت ثلاثة شهور وهو منتظم فى عمله وبدأنا نشعر بالاطمئنان اتجاهه واعتقد لجميع أن فؤاد سيستقر فى هذا

العمل..

ولم تمضِ عدة أسابيع أتصل فؤاد بأخى نبيل وأخبره بأنه طرد من المصنع بسبب مشاجرة مع أحد الشبان السود العاملين معه فى المصنع..

ثار نبيل وصاح فى وجهه بعصبيه قائلاً: اسمع يا فؤاد أنا عملت اللى عليه.. وأنت تعرف تماما أنه من الصعوبه إيجاد عمل .. فكان لا داعى لهذه المشاكل والمشاجرات.. وأنا نبهتك هنا فى كندا فيه قانون.. وكل إنسان يأخذ حقه بالقانون.. ولا أحد يلجأ إلى العنف والقوة.. وأكمل نبيل قائلاً: الآن ممكن تقولى استفدت أيه من العراك والمشاجرة... طبعاً لا شيء سوى أنك خسرت عملك.. على كل حال أنا سأذهب بنفسى للشركة واترجاهم يرجعوك لعملك.. وتوجه نبيل إلى الشركة وقابل أحد المسئولين...وسأله عن المشكله والمشاجرة التى حدثت فوجد المسئولين فى حالة غضب واستياء شديد... وبدأ يشرح المسئول: لقد كانت المشاجرة عنيفة وغير أخلاقيه..

وقـد تسيـب الأثنان فى كـسر بعض الأجـهـزة والمعـدات نتيجة لقذفهم للصناديق الخشبيه والمقاعد...

وكـان يمكننا استـدعاء البـوليس. ولكننا اكتـفينا بفـصل الاثنين من العمل نـهائيـاً... فصـمت أخى نبـيل وشـعـر بالخجل ولم يستطـع الحديث لاعادته للعمل... وانصـرف نبيل عائداً وهو فى قمة الغضب والغيظ من تصرفات ابن خـاله فؤاد الذى تجاوز الخامـسة والثلاثين ومـازال طائشـاً متهوراً...

وأدرك نبـيل وتأكد بأن فؤاد لم تتغير طبـاعه كـثيراً عمـا كانت عليه فى صبـاه وشبابه وقـد شعر نبيل بالحيرة والقلق فكل توقعاته وخـوفه من تصرفات فؤاد وتهوره قد حدثت ولكنه كـان يدرك أن مسئوليتـه التـى تحملها بعمل الضمان الشخـصى وتعهده لمساعـدته تحتم عليه الوقوف بجـانبه...

ففكـر نبيل أن أن يستـمـر فى مساعدته وأن يتيح له فـرصة أخـرى فـربما فـاق لعقله ورشـده وتنبه لمسـتـقبله

وتمسك بعمله.. ويجانب اعتبارات القرابه والروابط العائليه تحتم عليه الوقوف بجانبه..

ويدأ من جديد مشوار البحث عن عمل فى الجرائد والمجلات.. وكان يصطحبه إلى مراكز التوظيف التابعة للحكومة... أو بالمرور على بعض الشركات والمصانع والسؤال عن أى عمل..

ورغم البحث المضنى لنبيل وللكثيرين من العائلة لم يوفق أحد فى العثور على فرصة عمل.. ولكن لم ييأس وخاصة نبيل الذى استمر فى بحثه ولم يترك أى منطقة صناعية قريبة أو بعيدة لم يذهب إليها..

ومرت أسابيع وشهور ولم يوفق أحد نظراً لسوء الظروف الاقتصاديه فى ذلك الوقت وبدأ الكل يشعر بشىء من القلق والحيرة فلقد طالت فترة تقاعد فؤاد بلا عمل وهو يحتاج إلى دخل ليسد منه مصروفاته وتكاليف معيشته..

وبينما جلس أخى نبيل يفكر مشغولاً بهذا الأمر

خطرت بباله فكرة أن يطلب إلى صديقه البرتو الإيطالى أن يوفر له عمل فى ورشة الموبيليا التى يتملكها ويديرها هو وزوجته (جينا)...

وكان نبيل يعرف تماماً أن (البرتو) لن يرفض له طلب نظراً للصداقة الكبيرة التى تربط بينهما منذ أكثر من عشرة أعوام...

وقد بدأت معرفته وصداقته (بالبرتو الايطالى) حينما كان (البرتو) فى ذلك الوقت يعد ويجهز لافتتاح مشروعه (ورشة الموبيليا) وكان يحتاج إلى مهندس ميكانيكى لتركيب الماكينات وتشغيلها..

ولذلك تعرف على أخى نبيل باعتباره مهندس ميكانيكى عن طريق أحد المصريين...وقام نبيل بتركيب وتشغيل الماكينات واستمرت العلاقة منذ ذلك الحين يتصل البرتوا بنبيل ويستدعيه لإصلاح أى مشكله فى الماكينات والمعدات..

وقد تطورت علاقة العمل إلى صداقة.. وأصبحت

صداقة عائلية كبيرة... وتتبادل الأسرتان الزيارات والهدايا.. ويخرجون معاً للفسح فى العطلات الأسبوعية أو الأجازات.. وتتجمع الأسرتان فى كثير من المناسبات والأعياد.

وكان (البرتو) يثق فى أخى نبيل ثقة كبيرة... ويأخذ برأيه فى كثير من الأمور المتعلقة بالورشة أو النواحى التجارية.

وقد ارتبطت بالتالى زوجة نبيل بصداقة كبيرة مع (جينا الايطالية) زوجة البرتو... وكانتا تتبادلتان الزيارات أو تخرجان معاً للمحلات التجاريه وتلتقيان دائماً فى المناسبات والأعياد...

ولذلك كان أخى نبيل متردد فى تقديم فؤاد للعمل مع (البرتو) خوفا من أن يسبب فؤاد بعض المتاعب أو المشاكل وقد تسىء إلى الصداقة بينهما... ولكن بعد أن ضاقت به الظروف فى البحث عن عمل وقد مكث فؤاد شهور عديدة. عاطلاً وبدون عمل.. أتصل نبيل (بالبرتو)

يطلب منه تشغيل فؤاد بالورشة والحاقه بأى عمل...

وافق البرتو وقبل طلب نبيل بكل ترحاب.. فأتصل نبيل بفؤاد وأخبره قائلاً: يا فؤاد أنا طلبت من صديق ايطالى تشغيلك فى (ورشة للموبيليا) يمتلكها ووافق على طلبى.. فأرجوك أن تقدر هذه الخدمة له وأن تخلص فى عملك معه.. وتبذل ما فى وسعك.. وتكون أكثر جديه واجتهاداً وأنا متأكد سيعاملك البرتو أفضل معاملة... فهو إنسان مهذب ومخلص.. وهو مكافح يحب عمله ويقدسه... وأننى أعرفه من زمن طويل ولا يمكن أن تواجه مشكلة معه فهو إنسان طيب ومتواضع ... وأتعشم أن تكون عند حسن ظنى... ولا تنسى أنك عانيت كثيراً من البطالة وبدون عمل... وعلق فؤاد مؤكداً لنبيل أنه سوف يبذل كل ما فى وسعه لإرضاءه... اصطحب نبيل فؤاد وقدمه إلى صديقه (البرتو) وزوجته (جينا) التى تعمل معه بالورشة فهى تهتم بكل ما يتعلق بالنواحى المالية والاداريه الخاصة بالورشة... أما البرتو فيركز كل جهده داخل الورشه بين العمال والماكينات للإشراف على

سير العمل ومراقبة الانتاج... رحب(البرتو) وزوجته بفؤاد... وبدأ البرتو يدربه على بعض الأعمال البسيطه مثل تقطيع الأخشاب مقاسات معينه ونقل الأخشاب إلى الماكينات... ونقل الموبيليات بعد تشطيبها إلى المعرض أو المخزن... انتظم فؤاد فى عمله... وكان البرتو لطيفاً يعامله ويتحدث معه كصديق... كريماً معه يعتبره صديق وكأحد أفراد إسرة نبيل.. واستمر يشجعه ويعلمه ليبدأ حياته وليبنى مستقبله..

وأستمر فؤاد فى عمله ما يقرب من شهرين وكل الأمور تمضى طبيعيه وليس هناك مشاكل أو خلافات... ولكن فؤاد بدأ محاولاً التقرب من (جينا) زوجة البرتو يجذب أنتباهها إليه وذلك بخلق الحجج والأعذار للذهاب إلى مكتبها ثم يبدأ فى مغازلتها ومعاكستها ببعض العبارات والكلمات المألوفه... ولكن (جينا) كانت دائما تتجاهله ولا تعطيه أى اهتمام... واستمر فؤاد فى محاولاته الكثيرة .... محاولا اظهار اعجابه وهيامه بجمالها أحياناً أو

يثنى على جاذبيتها وأنوثتها... ولكنها كانت لا تهتم بما يقول ولا تتجاوب معه... فكانت (جينا) تركز كل إهتمامها فى عملها وبمكتبها فهى مسئولة عن الحسابات وكافة النواحى المالية والإدارية.. بالإضافة إلى أنها تجيب على التليفون وتستقبل الزبائن.. وبالرغم من أن (جينا) سيدة ايطاليه على درجة كبيرة من الجمال والجاذبيه ولكنها كانت امرأة عملية جاده فى حياتها تركز كل أهتمامها فى العمل.. بالإضافة إلى حبها وإخلاصها لزوجها الذى يبادلها الحب والإخلاص...

ومن المعروف أن الشعب الإيطالى من أقرب الشعوب الأوربية فى صفاتها الشكليه وعاداتهم وتقاليدهم إلى الشعب المصرى... فالشعب الإيطالى يحب المزاح والمرح ويطلق النكته ويميل إلى كثرة الحديث والدردشه ومتمسك بعاداته وتقاليده... وغيور على بيته وأسرته... وقد ساعد ذلك (البرتو وزوجته) على تكوين صدقات عديده ببعض الأسر المصرية المقيمة بمونتريال.

ولذلك كان يعامل (البرتو) فؤاد كصديق وليس كأحد العاملين بالورشه... ولكن فؤاد لم يضع أى اعتبار لذلك... وأراد أن يتقرب إلى زوجته (جينا) محاولاً جرها فى علاقه غير أخلاقيه... ولكن (جينا) كانت دائما تصده وتتجاهله وقد وصلت فى بعض الأحيان إلى احراجه وتوبيخه حتى لا يتمادى ولتوقفه عند حدوده... ولقد حير ذلك فؤاد صاحب المغامرات والعلاقات النسائية العديدة... فكان يعتبر نفسه (روميو أو دون جوان).. وأغضبه كثيراً تجاهلها له وعدم اكتراثها به.. وبالرغم أنه كان يدرك أن (البرتو و جينا) زوجان متفاهمان يربطهما الحب والإخلاص... ولكنه لم يكف عن جنونه واستهتاره بل تمادى في محاولاته الشيطانية.... وأخذ يفكر ويخطط حتى يخلق ثغره ينفذ منها لتحقيق رغبته الشريرة...

وبدأ يستغل كل الأساليب الغير أخلاقيه والحقيرة فكلف إحدى الفتيات المصريات المستهترات التى تماثله فى جنونه وعدم مبالاته وكانت تدعى (سهام) بأن

تتصل تليفونيا (بالبرتو) فى الورشه وتسأل عنه ... وكانت (جينا) هى المسئولة دائماً على الرد على التليفون.. وكانت طريقة سهام وسؤالها عن (البرتو) بالإضافة إلى بعض الدلائل والإمارات التى عرفها بها فؤاد توحى أن هناك علاقة بين سهام والبرتو.

وبدأت جينا ينتابها شيء من الشك هو زوجها... وقد تكرر ذلك مرات عديدة وفى أوقات معينه تثير الشك فى تصرفات (البرتو) .. ولم تكتف بالاتصال بالورشه فقط ولكنها كانت تتصل فى بعض الأوقات بالبيت وتمثل نفس الدور مما ضخم الشكوك برأس (جينا) نحو زوجها... وبدأت تشك عند خروجه وعند تغيبه من المنزل...

وكان فؤاد يزيد ظنونها أشتعالاً وشكوكها لهيباً بالحديث معها عن زوجها ويوحى لها أنه روميو وله علاقات نسائية كثيرة... وبذلك تضخمت صورة الخيانه برأس جينا وأعلنت غضبها وثورتها على زوجها البرتو.. وبدأت المعارك والمشاكل بينهما.

وقد بدا ذلك واضحاً فى الورشه وأثناء العمل من تشاحنها دائماً والغضب والعصبيه بينهما...

وأدرك فؤاد أن محاولاته الشيطانيه ظهرت نتائجها وآثارها واضحة فعاد إلى محاولاته للتقرب إلى (جينا) والتودد إليها.. ولكنها لم تصده فى هذه المرة وبدأت تتجاوب وتتحدث معه.. فقد كانت فى حالة نفسية سيئة وتريد التحدث إلى أى إنسان.. ولكن فؤاد استغل تجاوبها وحديثها معه فى تضخيم المشكله وتعقيد الأمور أكثر وأصبحت الأمور بين (جينا) وزوجها البرتو غاية فى الأضطراب والسوء..

وازدادت حالة (جينا) فى السوء والتدهور حتى أنها تشاجرت مع زوجها وطلبت منه الطلاق وقد احتار البرتو فى أمر زوجته.. وما أغضبه كثيراً أنه لا يعرف سبباً معقولاً لتصرفاتها وجنونها ولكنه لم يوافق زوجته على الطلاق وخراب البيت وتشرد البنتان الصغيرتان ففكر فى السفر إلى ايطاليا أسبوعين أو ثلاثة حتى تهدأ وتعود إلى

رشدها وتكف عن طلب الطلاق وهدم كل شيء...

حمل البرتو حقيبته وأستقل الطائرة إلى روما.. استمر العمل بالورشه مستمراً فهناك بعض العقود للزبائن ولابد من انهائها وتسليمها في مواعيدها... ولذلك استمرت جينا بالورشه وتحملت مسئولية كل شيء ولكنها لجأت إلى فؤاد لمساعدتها وقد أزداد تقرباً وتودداً لها فأعطته مفاتيح المخازن ومفاتيح الورشه وكلفته بالمسئوليه ومباشرة العمل..

وجد فؤاد الظروف متاحه ومهيأة لتحقيق أطماعه وأغراضه الدنيئه... فبدأ يمد يده بالسرقه من محتويات المخازن من أخشاب ومواد خام وقطع غيارات الماكينات... وكانت تحضر سهام لمساعدته في نقل المسروقات بسيارة في المساء من أمام الباب الخلفي للورشه ويكون فؤاد في انتظارها... ويخرجان المسروقات من الباب الخلفي وينقلانها داخل السيارة.. وينطلقان ويبيعان المسروقات ويتقاسمان معاً...

وقد تكرر ذلك عدة مرات... وفى أحد الأمسيات بينما ينقلان (فؤاد وسهام) بعض المسروقات شك أحد الجيران فى تصرفاتهما وفى الطريقة التى ينقلان بها الأخشاب والمسروقات فأسرع وأتصل تليفونيا بمدام جينا بمنزلها وسألها قائلاً: مدام جينا هناك بعض الاشخاص ينقلون أخشاب وأشياء أخرى من الباب الخلفى للورشه فى سيارتهم هل أمرت بذلك؟ أو لديك علم بما يحدث...

فصاحت مدام جينا فى غضب وعصبيه: لا..لا.. ليس لدى علم بما يحدث.. وليس هناك داعى لنقل أى شيء أو فتح الباب الخلفى.. لا... لا أنهم لصوص وكسروا الباب الخلفى...أرجوك تراقبهم جيداً... مؤكد أنهم لصوص ويسرقوا محتويات المخازن..لو سمحت استمر فى مراقبتهم وحاول التقاط نمرة السيارة.. وأنا سأتصل بالبوليس.. أتصلت مدام جينا ببوليس مونتريال. وأبلغتهم أن هناك سرقة فى مخازن ورشتها... فتحرك البوليس فى منتهى السرعة وحاصر المنطقة.. وحاولوا ايقاف السيارة بعد أن

حاولت سهام الفرار والهروب بالسيارة وتم الامساك بسهام واعتقالها.. أما فؤاد فقد تمكن من الهروب والأختفاء.. ونقلت السيارة بالمسروقات وسهام إلى مركز البوليس..

وأمام رجال البوليس اعترفت سهام بتفاصيل المؤامرة عند استجوابها وأخبرتهم بكل شيء من البدايه وشرحت لهم كيف أن فؤاد استدرجها وكلفها بمساعدته في السرقه وفي كل المؤامرة..

وبدأ بوليس مونتريال البحث عن فؤاد لاعتقاله.. فكثف البوليس جهوده وحاصروا المنطقة.. وأستعانوا بالكلاب البوليسية..

وتوجهت (جينا) إلى مركز البوليس.. وعرفت حقيقة الأمور وأصيبت بدهشه كبيره عند سماعها أن فؤاد هو السارق وهو المدبر لكل المؤامرة...

وروت (سهام) أمام البوليس (وجينا) المؤامرة التى دبرها للإيقاع بينها وبين زوجها البرتو وتكليفها بالآتصالات التليفونية الكاذبه ليلصق تهمة الخيانة

بزوجك (البرتو) وهو برىء. شعرت جينا بالندم والألم للمؤامرة الشيطانيه التى كادت أن تدمر حياتها الزوجيه وتهدم أعمالها وبيتها فملأها الغضب نحو فؤاد لشره وجنونه..

أتصلت جينا بنبيل وحضر إلى مركز البوليس باعتباره هو الضامن الشخصى له والسبب فى حضوره إلى كندا...

وشرحت لنبيل ما حدث من فؤاد من السرقة والتأمر لهدم سعادتها وخراب بيتها... وأبدت غضبها وإستيائها من ابن خاله فؤاد الذى قابل المعروف والإحسان بالتأمر والخراب..

فأسف نبيل أسفاً شديداً ... وأبدى لها كل اعتذار لما حدث.. ووعدها بأن كل شىء سيعود كما كان.. وأنه مسئول بإصلاح كل شىء وإعادت الأمور لمجاريها... وقد اشتد غضب نبيل وثورته تجاه فؤاد الذى قابل الخير بالشر ورد المعروف بالدسائس والمؤامرة.. وطلب من البوليس

ضرورة ترحيله إلى القاهرة بلده باعتبـاره هو الضامن الشخص..

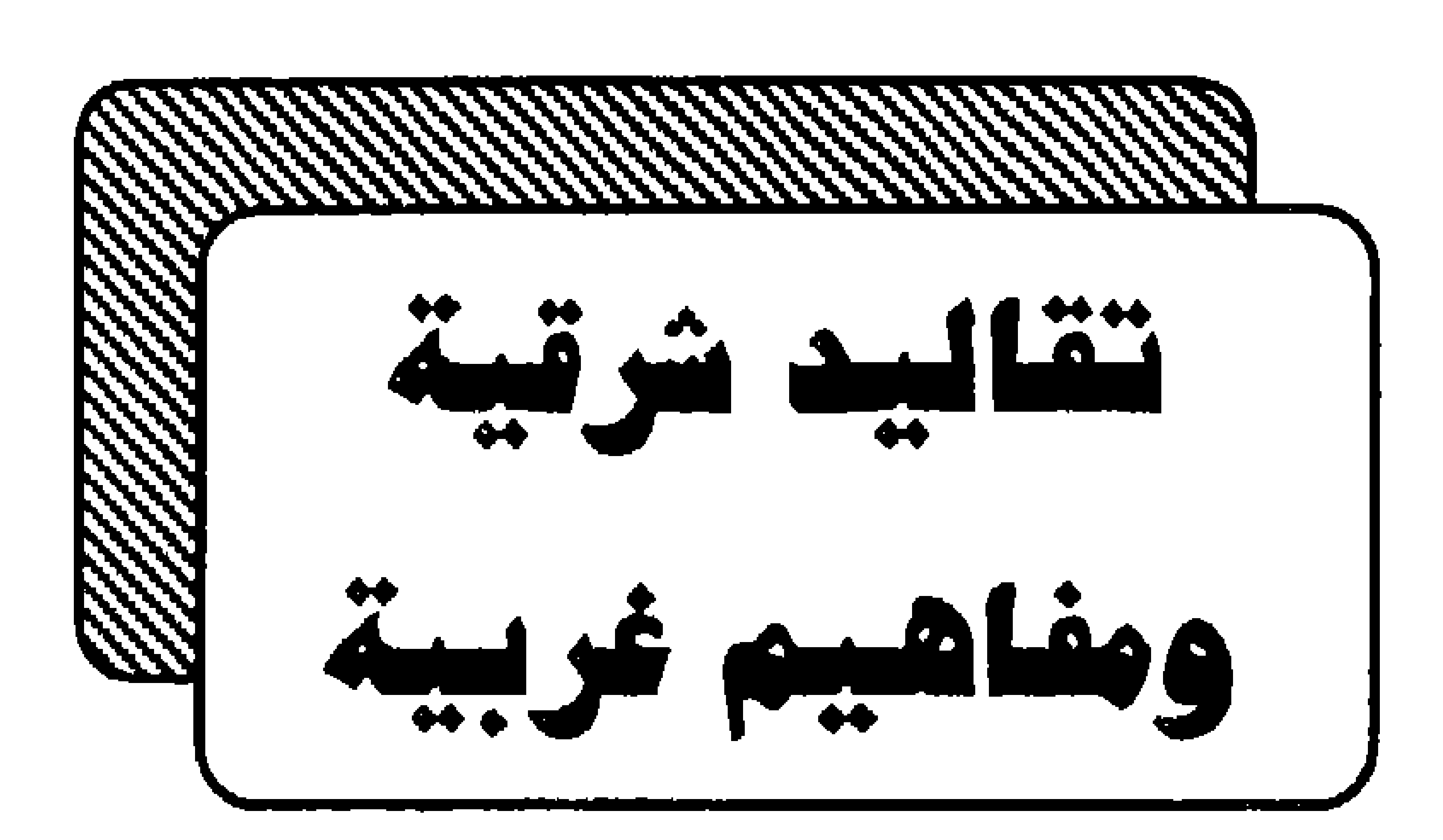
أتصلت جينا ونبيل بالبرتو بإيطاليا تليفونيا وطلبا منه سرعـة العودة إلى مـونتريال عاد البرتو إلى مونتريال وشرح له نبيل كل شيء بالتفصيل وأنهما كانا ضحية مؤامرة حقيرة خططها فاشل شرير.

اعتذرت (جينا) لزوجها عما حدث.. وأسفت له أسفاً شديداً لإهتزاز ثقتها به.. وعفا البرتو عن زوجته وعانقها ليخفف من صدماتها ومما أحيك لهما فقد أدرك أنهما كان ضحيه مؤامرة خبيثه....

وشكر الله الذى كشف المؤامرة قبل أن تتطور الأمور والمشاكل أكثر من ذلك.. وعاد الزوجان إلى حياتهما وعملهما... وعادت الأمور إلى طبيعتها... واستمر البوليس فى البحث عن فؤاد فى كل مكان بمونتريال حتى تم اعتقاله ونقله إلى مركز البوليس لاستجوابه.. استمر محبوساً بمركز البوليس حتى تم تقديمه للمحاكمة هو

وسهام شريكته فى السرقه والمؤامرة.. ونال كل منهما جزاءً رادعاً فى السجن.. وفى نفس الوقت أتم البوليس كل الإجراءات والأوراق اللازمة لترحيل فؤاد إلى مصر..

وتم نقله تحت حراسة البوليس حتى نقلوه إلى إحدى الطائرات المتجه إلى مصر ليعود إلى القاهرة.


تقاليد شرقية
ومفاهيم غربية

وصل الأستاذ فهمى وأسرته إلى مونتريال للحياة والإقامة الدائمة كمهاجرين.. وقام باستقبالهم إخوته وأقربائه ممن سبقوه إلى بلاد المهجر ومن أكثر من عشرة سنوات بالترحاب والاحتفال والكل أبدى استعداده وسروره بوصولهم..

كان الأستاذ فهمى يعمل رئيس حسابات فى شركة النقل العام .. وفى الحقيقية لم يكن راغباً أو ملهوفاً على الهجرة.

فقد عرض عليه إخوته وحثوه لعمل إجراءات الهجرة مرات عديدة من سنوات مضت وقد الحوا عليه فى كثير من الأحيان ولكنه كان دائماً يزن أمور حياته بالعقل والمنطق ...فقد كان راضياً قانعاً بالحياة فى

القاهرة .

وكان فى اعتقاده أن كل مكان على الأرض له عيوبه ومميزاته وكل مجتمع مهما كان له حسناته وسيئاته ..

فالبلاد الغنية والمتحضره لها مميزاتها وعيوبها .. والبلاد الفقيرة والغير متحضرة لها أيضاً مميزاتها وعيوبها ويكفى أن تدرك أن المجتمعات الغنية والمتحضرة بجانب رفاهيتها والتكنولوجيا المتقدمة قد تجد الأنحلال الخلقى والإجرام وقد تجد التفكك الاجتماعى وعدم الترابط الأسرى ..

وينتشر فى تلك المجتمعات القلق والتوتر العصبى الذى يزيد من نسبه الانتحار والجنون والأمراض النفسية..

ولذلك كان الأستاذ فهمى يعارض دائماً فكرة الهجرة مفضلاً الحياة في مصر ..ولكن بعد أن كبر أبنائه وأصبحوا شباب لهم آرائهم ورغباتهم فابنته الكبرى تبلغ من العمر الثامنة عشر وابنه الأكبر يبلغ السادسة عشر وابنه الصغير فى الرابعة عشر من العمر .. وكانوا يرغبون

فى الهجرة ويفكرون فى الحياة وإكمال دارستهم فى إحدى دول المهجر أمثال أبناء أعمامهم وعماتهم .. فهم يرون أنهم سعداء فى الخارج بالإضافة أنهم يمتلكون كل شئ ..

لذلك كانوا دائماً يحاولون إقناع والدهم بالهجرة ويدخلون معه فى مناقشات جادة وطويلة.. وقد ضاق الأستاذ فهمى بإلحاح أبنائه ورغبتهم فى الهجرة بالإضافة إلى انحياز والدتهم فى صفهم وتأييدها لعمل أجراءات الهجرة .. لذلك قرر فى النهاية تلبية لرغبتهم وأتم بالفعل إجراءات الهجرة وحملوا جميعاً حقائبهم وأمتعتهم وطاروا إلى كندا.. ووصلوا إلى مونتريال واستقبلهم أقربائهم وكثيرين من الأصدقاء المصرينن بالترحاب .. والتشجيع متمنيين لهم كل نجاح وتوفيق فى حياتهم الجديدة وفى عالم جديد يختلف كثيراً عن ما عاشوه واعتادوا عليه ...

وكغيرهم من آلاف الأسر المصرية الذين سبقوهم إلى المهجر وأستقروا فى أحدى الشقق وبدأوا فى تدبير شئون حياتهم والتأقلم فى مجتمعهم الجديد ..

وبدأت كالمعتاد ومتاعب البحث عن عمل مناسب للأستاذ فهمى .. وأماكن لأبنائه فى المدارس وكثير من الأمور التى تقلق المهاجر عند وصوله .. فلم تعد بلاد المهجر مليئة بفرص العمل كما كانت منذ عشرة أعوام مضت أو أكثر..

فهناك كثيرين من سكان مونتريال كنديين ومهاجرين بدون عمل ويعتمدون على بعض المساعدات الحكومية ..

– وأصبحت فرصة العمل حتى ولو فى مطعم أو فندق تعتبر شئ ثمين والعثور عليها ليس بالسهل أو البساطة .. والبحث عن عمل أصبح شئ صعب ومرهق ولكن الأستاذ فهمى كان أكثر حظاً وتوفيقا عن غيره من المهاجرين فقد وفق فى إيجاد عمل بسيط فى المحاسبة لخبرته الكبيرة فى المحاسبة وإجادته للغة الفرنسية والانجليزية وذلك بمساعدة زوج أخته الذى يعمل محاسباً فى أحدى الشركات الكبيرة إنتظم الأستاذ فهمى فى عمله نشيطاً مجتهداً .. والتحق أبنائه الثلاثة بمدارسهم وبدت

الأسرة أكثر استقراراً وتوفيقاً عن عشرات الأسر الذين سبقوهم وكان هناك ...

وكـان هناك شئ واحـد يقلقـه ويشـغل فكره وهو مـستقبل أبنائه .. وكيف يواجهون وهم فى مثل هذه الأعمار (سن المراهقة) لمجتمع متحرر ليس فيه أى قيود... لا يتمسكون بتقاليد أو عادات... الشباب فى حرية وانطلاق قد تصل فى بعض الأحيان إلى التسيب والانحراف..

ولذلك حرص على أن يذكر أبنائه دائماً بالحديث والمناقشة أحياناً أو بالنصيحة أحياناً للالتزام بتقاليدنا وعادتنا الشرقية.. فنحن مصريين وليست دمائنا غربيه أو أوربيه..

وكان يراقب تصرفاتهم ويواجه أى خطأ من أحدهم بالنصيحة والإرشاد وبكل هدوء ومرت الأيام وبدأ أبنائه فى الاندماج مع أصدقائهم وزملائهم بالمدارس ومع الجيران وأزدادت مخاوف الآستاذ فهمى وأزدادت نصائحه وأرشاداته... وقد بدأ أكثر تشدداً وأكثر عصبيه

فى بعض الأحيان.. وخاصة مع ابنه الأكبر (أشرف) الذى أصبح له أصدقاء كثيرين فى مثل سنه... وبدأ يقلدهم فى ملابسهم وفى حلاقة شعورهم..

وقد عارضه والده كثيراً فى تقاليد الشباب الكندى... وأخذ ينصحة ويوعية للأهتمام بدراسته.. فالمذاكره والتعليم قبل كل شيء.. ولكن (أشرف) الذى يبلغ من العمر السادسة عشر لم يستمع له... وأصبح اهتمامه الأكبر بالموسيقى والأغانى وأفلام الفيديو.. ولكن والده لم ييأس من نصحه وإرشاده فأحياناً بالهداوة واللطف وأحياناً بالعنف والشدة... أما الابن العنيد فلم يستمع إلى نصائح وإشادات والده... وأزداد أندماجاً وتقليداً لزملائه وأصدقائه يذهب معهم إلى الحفلات.. والأنديه... وصالات الرقص... ويتسكع معهم فى الشوارع والميادين...وفى أحد الأيام تأخر (أشرف) عن العودة فى المساء إلى المنزل فى الميعاد المعتاد والمناسب ولم يتصل بالبيت ليخبرهم عن سبب تأخره..

انتظر والده عودته قلقاً مشغولاً وخوفاً على ابنه..

وكلما تأخر الوقت كلما زاد قلقه وانزعاجه... وظل حائراً ينظر من النافذة ويتطلع إلى المارة ثم ينتقل إلى البلكونه ويتلفت يميناً ويساراً انتظاراً لعودته ابنه...

ثم أتصل تليفونيا ببعض أفراد اسرته ليسأل عن (أشرف) وبعض أصدقائه ولم يستدل عليه ولم يهدأ... وخرج إلى الشارع رغم الوقت متأخراً وسار ينظر فى النواصى القريبة وأمام المحلات لعله يكون واقفاً مع أصدقائه ولكنه لم يعثر عليه فعاد إلى المنزل حزيناً متألماً لما وصل إليه ابنه الذى لم يتجاوز السابعة عشر من العمر...

وطال انتظار الوالد وأشتد غضبه وأخذ يشعل فى سجائره الواحدة تلو الأخرى حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل عاد (أشرف) ودخل المنزل فوجد والده ينتظره غاضباً ثائراً وصاح فى وجهه قائلاً: كنت فين ياولد للساعة دى؟... كنت فين؟ تعال هنا... تعال هنا...

ولكن الابن (أشرف) لم يهتم ولم يجيب واستمر متجهاً إلى غرفته.. ولكن والده سار خلفه صائحاً: لازم

أعرف أنت كنت فين للوقت ده ؟

فأجابه (أشرف) بكل برود: كنت مع أصحابى.. وأنا مش صغير.. ولكن الوالد اشتد غضبه وغلت الدماء فى عروقه وجذب ابنه من ملابسه وأخذ يضربه على وجهه بعنف واستمر يضربه بشدة فقد اشتد به الغضب حتى نزفت الدماء من أنفه... اسرعت الام والابنه الكبرى وأمسكوا بالأستاذ فهمي وأخذوا يهدئون من غضبه وثورته... واصطحبوه إلى الصالون وجلسوا معه يتحدثون إليه ليهدئوا من غضبه. نهض (أشرف) وأسرع إلى التليفون وأتصل ببوليس مونتريال وأخبرهم بأن والده ضربه بكل وحشيه وقسوة والدماء تنزف من أنفه ووجهه..

لم تمضِ نصف ساعة كاناأثنين من رجال البوليس يقرعان باب الشقة... تحدث أحدهم بالانجليزيه قائلاً: من (اشرف فهمى)... فأقبل إليهم أشرف وشاهد رجال البوليس آثار الضرب على وجهه وآثار الدماء فى انفه... فنظر أحدهما إلى الأستاذ فهمى قائلا: حضرتك والده...

فأجاب نعم أنا والده وضربته للتأديب والتهذيب بعد عودته الساعة الثانية بعد منتصف الليل وهو مازال طالباً بالمدارس الثانوية...

فنظر إلى رجل البوليس قائلاً: هذا ليس سبباً كافياً لتضربه بقسوة ووحشية هكذا ويعتبر ذلك عملاً غير طبيعي... وغير إنساني... فأجاب الأستاذ فهمي قائلاً: مع احترامي للقانون الكندى فالضرب فى كثير من الأحيان أسلوب تربوى... وأسلوب ناجح ورادع فى كثير من الظروف.. وهذه أيضاً من عاداتنا وتقاليدنا فى مصر... فصاح رجل البوليس قائلاً: أنت لست فى مصر الآن... أنت مهاجر وتخضع للقانون الكندى كمواطن كندى تماماً...

وأضاف قائلاً: إذا كان هناك مشكله فى تربيه ابنك لا تلجأ إلى الضرب أو القسوة يمكن للحكومة أخذ ووضعه فى أماكن خاصة (مراكز تربية الأحداث) لتربيته والاهتمام به.. فصاح الاستاذ فهمى بعصبيه قائلاً: أنا لا أوافقك على هذا حتى ولو كان القانون الكندى ينص على

ذلك.. لا يستطيع أحد تربية أبنى مثلى.. فهذا ابنى من دمى ولحمى وأنا أريد إصلاحه وتقويمه ليهتم بمستقبله وليصبح إنساناً ناجحاً مسئولاً.. فنظر إليه رجل البوليس قائلاً: لا تنسى أنك فى مجتمع حر... وكل فرد صغير أو كبير له الحريه الشخصية...

والقانون يحرم الاعتداء بالضرب حتى من الوالدين على أبنائهم.. وإذا تكرر ما فعلت اليوم.. سيتدخل بوليس الشباب وبعض المسئولين من الشئون الاجتماعيه لحماية الولد.. وضمه إلى (مراكز تربية الأحداث).. وربما تقدم للمحاكمة بتهمة القسوة والعنف... فنظر إليه الأستاذ فهمى فى شيء من الضيق وأكمل قائلاً: فى هذه الحالة وفى هذه السن تصبح ليست حريه وإنما تسيب وانحلال خلقى...

وأكمل قائلاً: ومثل هذا القانون يشجع على الانحلال والانحراف.. وخلق جيل فاسد. فأحمر وجه رجل البوليس وظهر الغضب فى عينيه ووجهة ونظر إلى الاستاذ فهمى وصاح قائلاً: اذهب وغير ملابسك وتعالى معنا...

وبدأ رجلا البوليس يتناقشان ويتهامسان فيما بينهما... أما الأستاذ فهمي فصمت وأحنى رأسه وسرح بعيداً وبدأ عليه الآسى والحزن... وبعد أن انتهيا رجلا البوليس من نقاشهما.. نظر أحدهما إلى الأستاذ فهمى قائلاً: أنا قلت لك ارتدى ملابسك فنحن ننتظر أصطحابك معنا.. فنظر إلى الأستاذ فهمى فى هدوء قائلاً: ليس من حقك أن تأخذني إلى مركز البوليس فى مثل هذه الساعة... فأنا لست مجرم أو ارتكبت عملاً إجرامياً... فعلق رجل البوليس الثانى قائلاً: أنك قسوت على ابنك... وتهاجم قوانين الدولة وغير مقتنع بها... لو سمحت لا تضيع الوقت وهيا معنا... هذا فقط من لوازم الأمن ولعمل بعض الترتيبات..

فأجاب الأستاذ فهمي قائلاً: وهو كذلك.. سأذهب معكما.. لحظه سأغير ملابسي وارتدى الأستاذ فهمى ملابسه وركب سيارة البوليس... واتجهوا إلى مركز البوليس.. أسرعت زوجة الأستاذ فهمى بالاتصال بأخته تليفونياً وشرحت لها ما حدث... واصطحاب رجلا البوليس

له..

أسرعت أخت الأستاذ فهمى مع زوجها بسياراتهما إلى مركز البوليس... وكان البوليس قد بدأ فى عمل محضر والتحريات عنه.. فتدخل زوج أخته وشرح لرجل البوليس عن ظروفه الصعبه وإنه مهاجر جديد ومازال لا يعرف كل شيء عن القانون وأستمر يوضح لهم ويرجوهم بأن يعفوا عنه ويعطوه فرصة فى هذه المرة... وبعد محاولات جادة من زوج أخته وأخته وافق البوليس فى النهاية على العفو عنه وعاد الأستاذ فهمى وأخته وزوجها إلى المنزل بعد عدد من الساعات العصبيه المليئة بالتوتر والانفعال.. ولم يستطع النوم فى هذه الليلة وظل قلقاً حائراً يجلس فى الصالون وحيداً يشعل سجائره المتتاليه ويخرج أنفاساً حاده من شدة الغضب والتأثر.. فقد شعر فى هذه الليلة بالندم لتركه مصر وحضوره إلى كندا... وأحس أنه ارتكب خطأ كبير قد يكلفه الكثير.. وبدأ يفكر ويتخيل ما قد يصل إليه أبنائه فى هذا المجتمع وفى ظل تلك القوانين.. وأخذ يفكر ويحدث نفسه قائلاً: إن ما فعله

ابنى (أشرف) ربما قد تفعله ابنتى الكبرى أو الثانيه... وقد تعود احداهما بعد سهرة وسط شباب منحرف غير مبالى حتى مطلع الفجر... ماذا أفعل فى ذلك الوقت... وأننى تبعاً لقوانين دولة كندا لا أستطيع حتى توبيخها فربما تتصل بالبوليس... وأصبح أنا أمام البوليس مخالفاً للقانون... فنحن فى بلد حر والقانون يعطى الحرية للكبير والصغير... يعطى الحرية للمنحرفين والمنحرفات للمتشردين والساقطات..

وهز الرجل رأسه ألماً وأسى.. وأكمل محدثاً نفسه: إننى لا أطيق أن أرى أبنائى فى مثل هذا الضياع والانحطاط الخلقى.. فمهما فلسفت الأمور.. ومهما حاولت إقناع نفسى بأنها أمور عصريه وتطورات اجتماعية كما يّدعى الكثيرون ويدفنون رؤوسهم فى الرمال كالنعام..

أننى لا أستطيع رؤية أبنائى فى مثل هذه الأوضاع.. ولن أستطيع السكوت.. أو أكون سلبياً..

وأكمل الرجل محدثا نفسه فى تأثر قائلاً: لقد كنت دائما مخلصاً لمبادئى وأعتد بتقاليدنا وأشعر دائماً أنها

شيء فى دمى..

فلابد أن أحافظ على أسرتى وأبنائى مهما كلفتنى التضحية حتى يظلوا دائما على قيم وأخلاق... وحتى أشعر أننى قد أديت واجبى ورسالتى نحوهم.. ولذلك لابد أن أعود بأسرتى إلى مصر مهما كلفنى ذلك ومهما كانت التضحيات... ونهض الأستاذ فهمى من مقعده... وأطل من النافذه وقد بذأ الأصرار فى عينه ووجهة ويحدث نفسه قائلاً: لابد من العودة والحياة بمصر... فما زلت محتفظاً بعملي.. ومحتفظاً بشقتنا وكل أساساتها... أحمد الله أننى لم أقطع خطوط الرجعه إلى مصر.. بدأ الأستاذ فهمى يفكر ويخطط للعودة بأسرته إلى مصر...

وقد أتخذ قراراً بينه وبين نفسه لا رجعة فيه بمغادرة كندا والعودة إلى مصر... وذهب إلى فراشه متعباً مجهداً من التفكير من أحداث ليلة عاصفة.. بدأ الأستاذ فهمى التفكير الجاد لتنفيذ قراره ورغبته فى العودة إلى مصر دون أن يخبر أى أحد بذلك حتى زوجته..

وترك الأمور تمر عادية وبدأ يمهد لرحلة العودة دون

أن يظهر أى شئ عن نواياه أو بما عزم عليه..

مرت الأيام وأنتهى العام الدراسى وبدأت الأجازه الصيفيه.. وفى أحد الأيام وبينما كانت الأسرة تجلس في صفاء ورد فاجأهم الأستاذ فهمى بأنه قرر قضاء أجازة فى مصر ولمدة ثلاثة أسابيع لتصفية كل الممتلكات والأعمال فى مصر... وقضاء بعض الأيام على بلاجات البحر الأحمر للراحة والاستجمام ثم الرجوع الى كندا.

دهشت الأم لهذه المفاجأة ودهش الأولاد لهذه الفكره... وبدأوا فى الاستفسار عن ميعاد السفر ومناقشة كل الأمور المتعلقة بالزيارة والرحلة إلى مصر. وأخبرهم والدهم أنه سيحجز فى إحدى شركات الطيران للسفر بعد اسبوعين وبدأ الجميع يستعدون للرحلة المقبلة ولا أحد يعلم بأنها ستكون العودة النهائيه للحياة بمصر..

وفى الميعاد المحدد حمل أفراد الأسرة حقائبهم وأمتعتهم واستقلوا طائرتهم المتجهة إلى القاهرة كما قرر رب الأسرة..

وقد نفذ الأستاذ فهمى قراره وعزمه بكل شجاعة

وبدون أى خوف أو تردد.. ولم ينظر لأى اعتبارات أخرى وهو يدرك تماماً أن عودته إلى مصر قد يواجهه بسببها متاعب كثيرة من أسرته وأبنائه..

ولكنه يرى أن أى شئ أهون من أن يصبح فى يوم من الأيام كالشيطان الأخرس الذى يرى الشر والانحراف ولا يتكلم..

واضطر إلى العودة بأسرته قبل أن يفلت الزمام ويتصدع بناء الأسرة ويتشتت أفرادها... وفضل العودة إلى مصر للعيش بين البسطاء والمجاهدين من أجل لقمة العيش... الذين يحيون بالجهد والعرق والشرف وقلوبهم عامرة بالقيم والمبادىء.. ونفوسهم مطمئنة قانعة بالقليل.

لقد قرر العودة إلى دفء الشرق وأصالة الشرقيين..

والعودة إلى حياء الشرقيين النابع عن ضمائرهم وعمق إيمانهم.....

جمال قلته

الفهرس

جمع تصويري - إخراج فني - طباعة

لوجوس برنت سنتر

ص.ب : ٢٤٥٥ الحرية - هليوبوليس

رقم الإيداع: ١١٠٨٣/ ١٩٩٣

I.S.B.N: 977-00-6299-5

مجموعة من الاختبارات من واقع حياة المهاجرين في كندا



لوجوس